السَّنة الثالثة والتِّسعون بعد المئة

فيها وصل الرشيدُ إلى جُرْجان في صفر، وحُملت إليه أموالُ عليِّ بن عيسى بنِ ماهانَ على ألفٍ وخمسِ مئة جمل، وكان قد مرَّ في طريقه على شِعب بَوّان، وهو من عجائب الدُّنيا [وكان قد رأى بدمشقَ ديرَ مُرَّان، وكان][(١)] على تلٍّ وحوله رياضُ الزَّعْفَران، والمياهُ تخترق البساتين، فأعجبه وقال: أربعة منازلَ ليس في الدنيا مثلُهنّ: دير مُرّان بدمشق، والرقَّة، وشِعبُ بَوّان، وسَمَرْقَند، وقد رأيتُ ثلاثةً وبقي الرابع، وهي سمرقند، فلم يصلْ إليها.

ولمَّا نزل بطُوْس، بدأ به المرض، وكان قد اتَّهم هَرْثَمة برافع بن الليث، فوجَّه ابنَه المأمونَ قبل وفاتِه إلى مروَ بثلاثٍ وعشرين ليلة، ومعه جماعةٌ من القوَّاد: عبدُ الله بن مالك، ويحيى بنُ معاذ، وأَسَد بن يزيدَ بنِ مزيدَ، والعباسُ بن جعفرِ بن محمَّد بن الأشعث، والسِّندي، وغيرُهم. وكان هارونُ ضعيفاً عن المسير، فساروا مع هرثمة، وقطعوا النَّهر، وجرت بينهم وبين رافعٍ وقَعاتٌ ظهروا عليه فيها، وافتتحوا بخارى، وأَسروا بشيرَ بن الليث أخا رافع، وعاد رافعٌ إلى سمرقند، وبعث هرثمةُ ببشيرٍ إلى طوسَ وقد ثقل هارونُ في مرضه، فدخلوا به على هارونَ وهو على سريرٍ ينظر في المرآة ويقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ثم قال لأخي رافع: يا ابنَ اللَّخْناء، إنِّي لَأرجو ألا يفوتَني خامل -يعني رافعاً- كما لم تفتْني أنت، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد كنتُ لك حرباً، وقد أظفرك الله، فافعل ما يحبُّ اللهُ أكن لك سِلماً، ولعل اللهَ أن يليِّنَ لك قلبَ رافعٍ إذا علم أنَّك قد مننتَ عليَّ، فغضب هارونُ وقال: واللهِ لو لم يبقَ من أجلي إلَّا أن أحرِّكَ شفتي بكلمةٍ لَقلت: اقتلوه.

ثم دعا بقصَّاب فقال: لا تشحذْ مُدَاك، دعها على حالها، وفصِّل هذا الفاسقَ بنَ الفاسقِ أخا الفاسق، وعجِّل لا يحضرني أجلي وعضوٌ[(٢)] من أعضائه في جسمه،

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخ الطبري: وعضوان.

ففصَّله حتى جعله أَشلاء، فقال: عُدَّ أعضاءه، فعدَّها، فإذا هي أربعةَ عشرَ عضواً، فرفع يديه وقال: اللهمَّ كما مكَّنتني من هذا فمكِّني من أخيه، وغُشي عليه، فتفرَّق مَن كان حوله.

وقيل: إنَّه فعل ذلك بابن عمٍّ رافعٍ أيضاً، فقال القاضي التَّنوخي[1]: لمَّا سار هارونُ إلى طوسَ واشتدَّت علَّته وبلغ خبرُه إلى ولده الأمين، استدعى بَكْرَ بن المُعْتَمِر، ودفع إليه كتاباً ظاهراً إلى هارونَ يتضمَّن عيادته والسؤالَ عنه، وكتباً باطنةً إلى الفضل بنِ الربيع وإسماعيلَ بن صَبيح وغيرِهما من القوَّاد، يأمرهما إنْ حَدَث بأبيه حدثٌ أن يقفُلوا إلى بغدادَ بما في العسكر من الأموال وغيرِها، وكان هارونُ قد أَشهد عليهم أنَّ الجميع لابنه المأمون، فلمَّا دخل بكر بنُ المعتمر على هارونَ ودفع إليه الكتاب، وقف عليه وقال: وأين الكتبُ التي معك؟ فأنكر، فحبسه، ثم جلس في مَضرِب خزٍّ أسودَ استدارتُه أربعُ مئةِ ذراع، في أركانه قِبابٌ مغشَّاة بخزٍّ أسودَ والحبال من الإِبريسَم الأسود، والأوتادُ سود، وهو جالسٌ في مرتبةٍ سوداء، وخادمٌ من خلفه يمسكه، وعليه قَباء خزٍّ أسود، وقد أذن للناس عليه، والفضلُ بن الربيع جالسٌ بين يديه، فقال: عليَّ ببكر بنِ المعتمر، قال: فحضرت، فقال: واللهِ لئن لم تُحضر الكتبَ التي جاءت معك لأقتلنَّك، فقلت: ما جاء معي غيرُ كتابِ أمير المؤمنين.

وأَحضر هارونُ أخا رافعِ بن الليث ومعه قرابتُه، فقال هارون: أيتوهَّم رافعٌ أن يغلبَني، فواللهِ لو كان معه عدد نجوم السماءِ لقتلتهم، فقال له أخو رافع: اللهَ اللهَ فيَّ يا أمير المؤمنين؛ فإنَّ الله يعلم وأهلَ خراسان أنَّني بريءٌ من أخي منذ عشرين سنة، ملازمٌ لمسجدي ومنزلي، فاتَّقِ اللهَ فيَّ وفي هذا الرجل، فقال له قرابتُه: قطع اللهُ لسانك، أنا واللهِ منذ كذا وكذا أسأل اللهَ الشهادة، فلمَّا رُزقتُها على يد شرِّ خلقِه أخذتَ في الاعتذار، فاغتاظ هارونُ وأمر بتفصيلهما، ففُصِّلا والرجلُ يقول: يا هارون، نحن قد رُزقنا الشَّهادة، وأنت بين يدي اللهِ في آخر مدَّة، وستعلم. قال: فو اللهِ ما فرغ منهما حتى كأنَّه ذُبالةٌ طفئت.

---

(١) في الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٥٨ فما بعد.

قال بكر: ورُددت إلى الحبس، ولم أعلمْ بموته، وأقمت أتوقَّع القتل، فبينا أنا كذلك، إذ بعث إليَّ أبو العتاهيةِ غلامَه وقد كتب في راحته: [من مجزوء الوافر]

هي الأيامُ والعِبَرُ ... وأمرُ الله يُنتظرُ
أتيأسُ أنْ ترى فَرَجاً ... فأين اللهُ والقَدَر
فلا تجزعْ وإنْ عَظُم الـ ... ـبلاءُ ومسَّك الضَّرر[1]

قال: فوثقتُ بالله وقَوِيَت نفسي، ثم سمعت واعية، وإذا بالفضل بنِ الربيع قد دخل عليَّ وقال: قم، فقمتُ معه، فأَدخلني على هارونَ وهو مسجًّى، فكشف عن وجهه، فإذا هو ميِّت، فقال: هاتِ الكتب، فأخرجتها من صناديقِ المطبخ، وخلع عليّ، وعدتُ إلى بغدادَ بالأَجوبة.

الباب السادس
في خلافة محمَّد بن هارونَ

ابن [محمَّد بن عبد اللهِ بن محمَّد بن][2] عليِّ بن عبد الله بن عباس. ويلقَّب بالأمين على دِين الله، ويُكنى أبا موسى، وقيل: أبا عبدِ الله.

وليس في الخلفاء مَن اسمُه محمَّد[3] بن هارون سوى ثلاثة: هذا، وأخوه المعتصم، والمهتدي. وليس في الخلفاء مَن أبوه وأمُّه هاشميان سوى عليِّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه والأمين.

[وقال الصولي:][4] وفيه يقول أبو الهول الحِميَري: [من الكامل]

مَلِكٌ أبوه وأمُّه من نبعةٍ ... منها سراجُ الأمَّةِ الوهَّاجُ
شربوا بمكَّةَ في ذُرى بطحائها ... ماءَ النبوَّة ليس فيهِ مِزاج[5]

وأمُّه زُبيدة، وكُنيتها أمُّ جعفر، وهي بنتُ جعفرِ بن أبي جعفرٍ المنصور، ولقِّبت

(١) لم يذكر التنوخي البيت الثالث، ولا هو في الديوان ص٥٣٨ .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) لفظة: محمد، ليست في (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) الأوائل للعسكري ١/ ٢٨٥، والوافي بالوفيات ٥/ ١٣٩ .

زبيدة لأنَّ المنصورَ كان يرقِّصها لمَّا كانت صغيرةً، وكانت سمينة، فكان يقول: ما أنت إلَّا زبيدة.

[ذِكر مولده وصفتِه:

قال الصُّوليُّ في كتاب الأوراق:][1] وُلد محمَّد الأمينُ سنةَ إحدى وسبعين ومئةٍ برُصافة بغداد، وكان أبيضَ بضًّا سميناً سَبطاً، صغيرَ العينين، عظيمَ الكراديس، ولم يكن في زمانه أحسنُ وجهاً منه، ولا أَحلى شمائل، ولا أشجعُ ولا أقوى، هجم عليه يوماً أسدٌ وهو في بستانٍ وليس عنده سلاح، فوثب على الأسد من خلفه ورَكِبَه وعصر فخذَيه، فأقعى وانقطع ظهرُه فمات.

[قال الصُّولي:] إلا أنه كان سيِّئ السيرة، سفَّاكاً للدماء، ضعيفَ الرأي، مشغولاً بلذَّاته عن النظر في أمور الرَّعيَّة، حتى إنَّه كان يقول: لا أعرف الإيرادَ والإصدار، ولكن أشرب الكاسَ، وأَشَمُّ الآس، وأستلقي من غير نعاس، وذلك أحبُّ إلي من مداراة الناس. [قال:] وكان فصيحاً بليغاً، حتى إنَّ الرشيدَ كان يقول للمأمون: وددتُ أنَّ لك بلاغة محمَّد وأنَّ عليَّ من الغُرم كذا وكذا.

ذِكر بَيعته:

[قال الصولي وغيره:][2] بويع بالخلافة في عسكر أبيه بطوسَ صبيحةَ الليلةِ التي توفِّي فيها أبوه، وذلك يومَ السبت لأربعٍ خلونَ من جُمادى الأولى[3] سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، وهو ابنُ ثلاثٍ وعشرين سنة، أو اثنتين وعشرين، والمأمون يومئذٍ بمرو، ولم يكن مع هارونَ من ولده إلَّا أبو عيسى وصالح، فتولَّى صالحٌ بيعةَ الأمين، وكتب حمُّويه مولى المهديّ -وكان صاحبَ الخبر- إلى سلام مولاه ببغدادَ يخبره بوفاة هارون، فدخل على الأمين فعزَّاه وهنَّأه، وهو أوَّل مَن فعل ذلك، ثم قدم بعد ذلك رجاءٌ الخادمُ يومَ الأربعاء لأربعَ عشرةَ ليلةً خلت من جُمادى الآخرة من عند صالح بنِ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) وكذا في المنتظم ٩/ ٢١٨، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥ و ٣٦٥، وتاريخ ابن الأثير ٦/ ٢١١ و ٢٢١، والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٢: الآخرة.

الرشيد إلى الأمين، فوافاه بالخُلْد قصرِ أبي جعفر، فأخبره، فتحوَّل إلى قصر أبي جعفرٍ بالمدينة، وأمر الناسَ يومَ الجمعة بالحضور إلى جامع المنصور، وصعد المنبرَ فنعى هارونَ، وخطب فقال:

أيُّها الناس، إنَّ المَنون تراصد ذوي الأنفاسِ حتماً من الله تعالى، لا يُدفع حلولُها، ولا يُنكر نزولُها، فاسترجِعوا قلوبَكم عن الجَزَع على الماضي إلى النَّهج الباقي، تُعطَوا أجورَ الصابرين وجزاءَ الشاكرين.

ووعد الناسَ خيراً وقال: إنَّما ولِّينا لنُفَرِّجَ عن المَكْروبين، ونزيلَ هموم المَهمومين، ونُحسنَ إلى المحسنين، ونتجاوزَ عن المسيئين.

وبايعه الخاصَّة والعامَّة، وأعطى الجندَ رزق سنتين، واستوزر الفضلَ بن الربيع، وجعل العباسَ بن الفضلِ على حجابته. وأوَّل مَن أنشده أبو نُواسٍ فقال[1]: [من المنسرح]

جَرَت جوارٍ بالسَّعد والنَّحسِ ... فالناسُ في وَحْشةٍ وفي أُنْسِ
العينُ تبكي والسِّنُّ ضاحكةٌ ... فنحن في مَأتَم وفي عُرْس
يُضحكها القائمُ الأمين ويُبـ ... ـكيها وفاةُ الرشيدِ في أَمس
بدرانِ بدرٌ أَضحى ببغدادَ في الـ ... ـخُلْد وبدرٌ بطوسَ في الرَّمْسِ

وولَّى إسماعيلَ بن صَبيحٍ على ديوان الرَّسائل والتوقيعات، وولَّى عيسى بنَ عليٍّ بنِ ماهانَ على شرطته، وقيل: عبدُ الله بن خازم، وأوَّل ما بدأ به الأمينُ أنَّه أطلق عبدَ الملك بنَ صالح بن عليٍّ من الحبس، وكان حَبَسه هارونُ على ما تقدَّم.

ذِكر بدءِ الخلاف بين الأمينِ والمأمون:

كان الأمينُ شديدَ البغضِ للمأمون، وقد ذكرنا إنفاذَه بكرَ بن المعتمرِ وما جرى له، فلمَّا كانت الليلةُ التي مات فيها هارون، قال للفضل بنِ الربيع: قرِّرْ بكرَ بن المعتمر، فإن أقرَّ وإلَّا فاضرب عنقه، فقرَّره الفضل، فلم يُقرَّ بشيء، وغُشي على هارون،

(١) كذا قال الطبري ٨/ ٣٦٤، وأحمد بن يوسف فيما أخرجه عنه ابن الجوزي في المنتظم ٩/ ٢١٩، والأبيات لأبي الشيص الخزاعي كما في الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٣، وطبقات ابن المعتز ص٧٥، والعقد الفريد ٣/ ٢٩٧.

فأمسك الفضلُ عن قتله، ثم أَفاق هارونُ وقد شُغل بنفسه عن بكرٍ وغيرِه، وعاد الفضل إلى هارونَ ليخبرَه، وإذا بالصِّياح قد ارتفع، فكتب ابنُ المعتمر إلى الفضل يقول: لا تعجلوا بأمر؛ فإنَّ معي أشياءَ تحتاجون إلى علمها، وكان بكرٌ محبوساً عند حسينٍ الخادم، فاجتمع الفضلُ وحسينٌ به، فأَخبرهم بالكتب، وأخرجها من قوائم الصناديقِ وسلَّم إلى كلِّ واحدٍ كتابه، وكان فيها كتابٌ إلى المأمون، وكتابٌ إلى صالح بنِ الرشيد، وكتابٌ إلى الفضل بنِ الربيع، وكتابٌ إلى حسينٍ الخادم، وغيرِهم.

فأمَّا كتاب المأمون، ففيه: من محمَّد بن هارونَ إلى أخيه عبدِ الله المأمون، سلامٌ عليك، أمَّا بعد؛ فإذا ورد عليك كتابُ أخيك -أعاذه اللهُ من فقدك عند حلولِ مالا مردَّ له ولا مدفع، مما نُعِيَتْ عليه الأممُ[1] الماضيةُ والقرونُ الخالية- فعزِّ نفسك بما عزَّاك الله به، واعلم أنَّ الله قد اختار لأمير المؤمنين أفضلَ الدَّارَيْن، وأجزلَ الحَظَّين، فقبضه اللهُ طاهراً زكيًّاً، قد شكر سعيَه وغفر ذنبَهُ إن شاء الله، فقم في أمرك قيامَ ذي العزمِ والحزم، والناظرِ لأخيه وسلطانهِ ونفسه وعامَّة المسلمين، وإيَّاك أن يغلبَكَ الجزع؛ فإنَّه يُحبط الأجر، ويُعقِب الوِزر، وصلواتُ الله على أمير المؤمنين حيًّا وميِّتاً، وإنَّا إليه راجعون، فخذ البيعةَ على مَن قِبَلك من القوَّاد والجندِ والخاصَّة والعامَّة، لأخيك ثم لنفسك ثم للقاسم ابنِ أمير المؤمنين، على الشَّرائط التي جعلها لك[2] أميرُ المؤمنين، فإنك مقلَّد من ذلك ما قلَّدك الله وأميرُ المؤمنين، ومَن أنكرتَ طاعتَه واتَّهمته، فابعث إليَّ برأسه، واكتب بذلك إلى عمَّالك وولاةِ ثغورك.

وذكر كلاماً طويلاً في معناه، وذكر في آخره: فإنَّ أخاك يعرف حُسنَ اختيارك، وصحَّة رأيك، ودقَّةَ نظرك، وهو يسأل اللهَ أن يشدَّ بك عَضُدَه، ويجمعَ بك أمرَه إن شاءَ الله.

وكتب إلى صالح: إذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوعِ ما قد سبق من علم الله، ونفذ من قضائه في خَلقه[3] وأوليائه، وجَرَت به السُّنَّة في الأنبياءِ والمرسلين والملائكةِ

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٧: مما قد أخلف وتناسخ في الأمم ...

(٢) في (خ): جعلها الله لك. وهو خطأ.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٨: خلفائه.

المقرَّبين فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. فاحمد اللهَ على ما صار إليه أميرُ المؤمنين من عظيم ثوابِه ومرافقةِ أنبيائه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فشمِّر في أمرك، وإيَّاك أن تلقيَ بيديك؛ فإنَّ أخاك قد اختارك لما استنهضك له، فحقِّق ظنَّه فيك، وخذ البيعةَ على مَن قِبَلك من ولد أميرِ المؤمنين وأهلِ بيته ومواليه وخواصِّه وعامَّته لأخيك محمَّد بن أميرِ المؤمنين[١]، ثم لعبد الله بنِ أمير المؤمنين، ثم للقاسم بنِ أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها أميرُ المؤمنين؛ فإنَّ السعادة واليُمنَ في الأخذ بعهده، والمضيِّ على منهاجه، واعلم أنَّ مَن قِبَلك من الخاصَّة والعامَّة قد رأى[٢] في استصلاحهم، وردِّ مظالِمهم، وإدرار رزقهم، واضممْ إلى الفضل بنِ الربيع ولدَ أميرِ المؤمنين وخدمَه وأهله، ومُرْه بالمسير معهم، وصيِّر إلى عبد اللهِ بن مالكٍ أمرَ العسكر؛ فإنَّه ثقة على مايلي، مقبولٌ عند العامَّة والخاصَّة، وأقِرَّ حاتم بنَ هرثمةَ على ما هو عليه، وتوجَّه إليَّ بما في العسكر من الأموال والأثاثِ وغيره.

وذكر كلاماً بمعناه، وكتب إلى الفضل بنِ الربيع وحُسينٍ الخادمِ بمثل ذلك.

وكان المأمونُ قد خرج من مروَ إلى قصر خالدِ بن حمَّادٍ على فرسخٍ من مروَ يريد سَمَرْقَند، فقدم عليه إسحاقُ الخادم بنَعْي الرشيد، فرجع إلى مرو، ودخل دارَ الإمارة دارَ أبي مسلم، وصعد المنبر، ونعى الرشيدَ وشقَّ ثوبَه وبكى، وعزَّى نفسه والناسَ واسترجع، وبايع لمحمَّد ولنفسه، وأعطى الجندَ رزقَ سنة.

وأما الفضلُ ومَن كان في عسكر الرشيد، فإنَّهم لمَّا قرؤوا كتبَ الأمين تشاوروا في اللَّحاق بالمأمون أو بمحمَّد، فقال الفضلُ بن الربيع: لا أدع ملكاً حاضراً لآخَرَ لا ندري ما يكون منه.وأمر الناس بالرَّحيل إلى بغداد، وأَنفق فيهم الأموال، وكانوا قد اشتاقوا إلى أهليهم ببغدادَ ومنازلِهم، فساروا، ونسوا العهودَ التي كانت أُخذت عليهم،

(١) في تاريخ الطبري: محمد أمير المؤمنين.

(٢) كذا في (خ)، وليس في (ب) لاختصار شديد، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٨، والمنتظم ٩/ ٢٢٢: وأعلم مَن قبلك من الخاصة والعامة رأيي.

وكان ذلك أوَّلَ ما بدا من الأمينِ من الغدر بأخيه المأمون.

ولمَّا رحلت العساكر عن طوسَ قال قائل: [من السريع]

منازلُ العسكرِ مَعْمورةٌ والمنزلُ الأعظم مهجورُ
خليفةُ الله بدار البِلَى تَسفي على أجداثه المُور[1]
أقبلت العِيْرُ تُباهي بهِ وانصرفت تَندبه العِيْر

ولمَّا بلغ المأمونَ رحيلُ العسكرِ إلى بغدادَ بالأموال أُسقِط في يده، وجمع خواصَّه وقوَّاد أبيه: يحيى بنَ معاذ، وشبيبَ بن حُمَيدِ بن قَحْطَبة، والعلاءَ مولى هارون وكان على حِجابته، والعباسَ بن المسيَّب بنِ زهير وهو على شُرطته، وأيوبَ بن [أبي][2] سمير، وهو على كتابته، وغيرَهم، وفيهم ذو الرِّياستين، وكان عظيمَ القدرِ عنده، فاستشارهم، فأشاروا[3] عليه أن يتجهَّزَ بنفسه خلفهم في ألفَي فارسٍ جريدةٍ[4] يردُّهم، فقال له ذو الرِّياستين: إن فعلتَ ما أشاروا عليك، جعلوك طُعمةً وهديةً لمحمَّد، قال: فما الرأي؟ قال: أن تكتب إليهم كتاباً وتبعثَ رسولاً يذكِّرهم البَيعة، ويسألهم الوفاءَ بالعهد، ويحذِّرهم الحِنْثَ وما يَلزمهم من ذلك في الدِّين والدنيا، فكتب إليهم كتاباً مع سَهْل بنِ صاعد ونَوفلٍ الخادم، وبعث معهما جماعةً من أهل الرأيِ والعقل، فلحقوهم على ثلاث مراحلَ من نَيْسابور.

قال سهلُ بن صاعد: فأوصلتُ كتابَ المأمون إلى الفضل بنِ الربيع، فقرأه وقال: إنَّما أنا واحدٌ من القوم. قال سهل: وشدَّ عليَّ عبدُ الرحمن بنُ جَبَلَةَ الأنباريُّ بالرمح فأمرَّه على جنبي، ثم قال: قل لصاحبك: واللهِ لو كنت حاضراً لوضعتُ هذا الرمحَ في فيك، هذا جوابي. ونال من المأمون، فرجعوا إليه وأخبروه، فقال له ذو الرِّياستين: اِحمدْ ربَّك، فقد أراحك اللهُ من أعدائك، والرأيُ عندي ما أذكره لك، فافهمه واعملْ به، وأنا زعيمٌ لك بالخلافة، قال: وما هو؟ قال: قرأتَ القرآن، وسمعتَ الحديث،

---

(١) المور: الغبار المتردد، والتراب تثيره الريح. القاموس المحيط (مور). والأبيات في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٨، والبداية والنهاية ١٤/ ٤٧، إلا أنها في رثاء الرشيد.

(٢) زيادة من تاريخ الطبري وابن الأثير ٦/ ٢٢٣ .

(٣) في (خ): فاستشاروا.

(٤) الجريدة: خيل لا رجَّالة فيها. القاموس المحيط (جرد).

وفقهت في الدِّين، والرأيُ أن تبعثَ إلى مَن بالحضرة من الفقهاء، فتدعوهم إلى الحقِّ والعملِ به وإحياءِ السنَّة، وتقعدَ على اللُّبود، وتردَّ المظالم، وتكرمَ القوَّاد وأبناءَ الملوك، وتحطَّ عن خراسانَ رُبعَ الخراج، فقال: أَفعل ذلك، ففعله، فحسنت حالُه، وسُرَّ به الناس، وقالوا ابنُ أُختنا وابن عمِّ نبيِّنا ﷺ، نفوسُنا دونه. ومعنى ابن أُختِنا أنَّ أمَّه مراجل كانت تركيةً من أهل خراسان.

وقيل: إنَّ رسلَ المأمون لمَّا عادوا من عسكر هارونَ آيسين، قال له الفضلُ بن سهل: اصبر واثبُت لتنال ما تحب، ثم خلا بالقوَّاد الذين كانوا عند المأمون، مثل يحيى بنِ معاذ ومَن سمَّينا، وعرض عليهم البيعةَ للمأمون، وقال: قد غدر به محمَّد وأخذ ما كان أَوصى له به الرَّشيد، فبايعوا له، فأغلظوا له في الكلام، وقالوا: مَن يدخل بين الخليفةِ وأخيه؟ فدخل الفضلُ على المأمون وقال له: إذا كان هؤلاء كذا، فكيف لو رجع الفضلُ بمن معه! قال: فما الحيلة؟ قال: أَظهِر النُّسك، والزم المسجد، وافرش اللُّبود، وصلِّ الصلواتِ الخمس، ودُم على قراءة القرآنِ والصَّدقة على الفقراءِ والمساكين، وأَزِل المنكر، ومُر بالمعروف، وأحْيِ معالمَ الشريعة. ففعل، فمالت قلوبُ الناس إليه، وأشار عليه ألَّا يقطعَ مكاتباتِ محمَّد، فكتب إليه، وبعث بالهدايا النفيسة، من الطِّيب والرقيقِ والأَمتعة الجليلةِ وطُرَف السِّند والهند.

وكان هارونُ بفراسته يعلم ما يريد أن يجريَ بينهما، فكان يقول: [من الطويل]

محمَّد لا تُبغِضْ أخاك فإنَّه ... يعود عليك البغيُ إن كنتَ باغيا
فلا تعْجَلَنْ فالدهرُ فيه كفايةٌ ... إذا مالَ بالأقوام لم يُبْقِ باقيا[1]

ولم يجاهر المأمونُ أخاه، بل أَقام على طاعته والأمرُ بينهما مستور.

وأمَّا الأمين، فلمَّا أَفضت إليه الخلافة، تشاغل باللَّهو واللعب، وأمر ببناء مَيْدانٍ حول قصرِ أبي جعفرٍ في المدينة للَّعب بالصَّوالجة، وأمر بعمل خمس حَرَّاقات[2] في دجلة، واحدة على خِلقة الأسد، والثانيةُ على خلقة الفيل، والثالثة على خلقة العُقاب، والرابعةُ على خلقة الفرس، والخامسة على خلقة الحيَّة، وأمر الشعراءَ فمدحوها،

(١) الوافي بالوفيات٥/ ١٣٨-١٣٩ .

(٢) الحراقات: ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر. المعجم الوسيط (حرق).

وأطلق لهم خمسَ مئة ألفِ دينار، وأمر بشاعرٍ أنشده قصيداً بثلاث مئةِ ألف دينار، وأسرف إسرافاً كبيراً.

وفيها جهَّز المأمونُ الجيوشَ إلى رافع بنِ اللَّيث مع هَرْثَمة، فنازله بسَمَرْقَند، وأخرب سورَها الظاهر، ولجأ رافعٌ إلى المدينة الداخلة، وراسل رافعٌ التُّرك، فوافَوه، وبقي المأمونُ بين رافعٍ والتُّرك يقاتل الفريقين، ثم انصرف التركُ إلى بلادهم، وبقي رافعٌ محصوراً، فضعفَ أمرُه.

وفيها قُتل نقفورُ ملك الرومِ في حرب بُرْجان[١]، وكان ملكُ نقفورَ تسعَ[٢] سنين، وملك بعده ولدُه إستبراقُ بن نقفور، وكان قد خرج مع أبيه، فمات بعده بشهرين، وملك ميخائيل بن جُرجس، وكان خَتَنَه على أخته.

وأقرَّ الأمينُ أخاه القاسمَ في هذه السَّنة على ما كان عليه من أعمال الجزيرةِ وقِنَّسرين والعواصم، ثم صرفه عن الجزيرة وولَّى عليها خُزَيْمَةَ بن خازم، وأقرَّ القاسمَ على الثُّغور والعواصم. وهذا ثاني أمرٍ خالف فيه الأمينُ وصيةَ أبيه، عزلُه لأخيه عن الجزيرة.

وفي شعبانَ قدمت زُبيدة [أمُّ الأمين][٣] من الرقَّة بجميع ما كان فيها من الأموال والخزائن، فخرج الأمينُ لاستقبالها في وجوه الناسِ والأَشراف والعلماء، فلَقِيها من الأنبار.

وحجَّ بالناس داودُ بن عيسى بنِ [موسى بن] محمَّد بن عليٍّ بن عبد الله بنِ عباس، وهو والي مكَّة، فمات بعد الموسم.

فصل وفيها توفي

صالحُ بن محمَّد

ابنِ عَمرو بن حَبيب بن حسَّان، أبو عليٍّ البغدادي، مولى أسدِ بن خُزَيْمَةَ، ولقِّب

---

(١) بعدها في (خ): الرومي.

(٢) كذا في (ب) و (خ) وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٣٢، ونسخة من الطبري ٨/ ٣٧٣، ونسخ من البداية والنهاية ١٤/ ٥٢ . وفي مطبوع الطبري والبداية والنهاية والمنتظم ٩/ ٢٢٤، والكامل ٦/ ٢٢٦: سبع.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

جَزَرَة -بجيم وزاي معجَمة وراءٍ مهمَلة- لأنَّه قرأ يوماً على شيخٍ من شيوخ الشام أنَّه كان لأبي أُمامَة خَرَزةٌ يرقي بها المرضى، فصحَّف.

وُلد سنةَ عشرٍ ومئة[١] بالكوفة، وكان أحدَ أئمَّة العلمِ والحفَّاظ، وممن يُرجَع إليه في علم النَّقل، سافر إلى الأمصار، فسافر وسمع بخُراسانَ والعراقَين والشامِ ومصرَ والحجاز، واستوطن بُخارى، وكان يحدِّث من حفظه، ولم يستصحبْ معه كتاباً، وكان ثقةً صدوقاً حافظاً عارفاً، وكان فيه دُعابة.

اجتاز يوماً ببغدادَ شاعران، أحدُهما صاحب حديثٍ والآخَر مُعْتَزليّ، فقال له المعتزليّ: كم تكتب! يذهب بصرُك، ويَحْدَودب ظهرُك، ويزداد فكرك، ثم أخذ كتاباً من يده وكتب عليه: [من مجزوء الكامل]

إنَّ القراءةَ والتفقُّه والتشاغلَ بالعلومِ
أصلُ المذلَّة والإضا قةِ والمهانةِ والهمومِ

ثم ذهب وجاء الآخَر، فقرأ البيتَين وقال: كذب عدوُّ الله، بل يُرفع ذِكرُك، ويُنشر علمُك، ويبقى اسمُك مع اسم رسولِ الله ﷺ إلى يوم القيامة، وكتب على ظهرِ الكتاب:

إنَّ التشاغلَ بالدَّفا تِر والكتابةِ والدِّراسهْ
أصلُ التَّفقُّه والتزهُّدِ والرِّئاسةِ والسِّياسه[٢]

توفِّي صالحٌ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئةٍ ببخارى، وقيل: سنَة أربعٍ وتسعين[٣].

أَسند عن عليِّ بن الجَعْد وغيرِه، وروى عنه الجَمُّ الغَفير، واتَّفقوا على صدقه وثقتِه.

[فصل وفيها توفي]

(١) كذا؟! وهذا وهم من المصنف رحمه الله، فقد ولد صالح سنة عشر ومئتين، أو خمس ومئتين، وتوفي سنة ٢٩٣، أو ٢٩٤، فإيراده في وفيات هذه السنة وهم، لم أجد من تابع فيه المصنف، انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٥، والمنتظم ١٣/ ٥٢، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٢٢ (مخطوطة دار البشير)، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٥٣، والسير ١٤/ ٢٤ وفي حواشيه مصادر أخرى، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤١.

(٣) انظر التعليق أول الترجمة.

غُنْدَر

واسمه محمَّد بن جعفر، مولى هُذيل، بصري، أبو عبدِ الله [صاحب سعيدِ بن أبي العَروبة][(١)]، من الطبقة السادسة [من أهل البصرة.

سمع غندرٌ الكثير، وسافر إلى الأمصار. وقال البخاريّ: توفِّي سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة[(٢)].و] سمع يحيى بنَ سعيدٍ والثوريَّ وحُميداً الطويلَ وغيرَهم[(٣)].

[وقال الخطيب: جالس شعبةَ نحواً من عشرين سنة] وروى عنه الجَمُّ الغَفير، وكان إماماً ثقةً سليمَ الصدر.

[وروى محمَّد بن المَرْزُبان قال: قيل لغندر:][(٤)] إنَّ الناس يُعَظِّمون أمرَ السلامة التي فيك، قال: يَكذِبون، فقيل له: حدِّثنا منها بشيء، قال: صمتُ يوماً، فأكلت ثلاثَ مرَّات ناسياً، ثم أتممت صومي.

وقال ابن مَعين: اشترى غندرٌ يوماً سَمَكاً، وقال لأهله: أَصلِحوه، فأَصلحوه وهو نائمٌ وأكلوه، ولطَّخوا يدَه وفمَه منه، فلمَّا انتبه قال: قدِّموا السمك، فقالوا: قد أكلتَ منه، قال: لا، قالوا: فشمَّ يدك، ففعل، فقال: صدقتم ولكن ما شبعت.

[واختلفوا في وفاته، فروينا عن البخاريِّ أنَّه] مات سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، وقيل: سنةَ أربعٍ وتسعين بالبصرة، وكان ثقةً إن شاءَ الله.

[وفيها توفِّي]

هارونُ بن محمَّد

ابن عبد الله بن محمَّد بن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس، أميرُ المؤمنين الرشيد[(٥)]. [وقد

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٩٧، والمنتظم ٩/ ٢٢٧، وتهذيب الكمال (٥١٢٠)، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٨٨، والسير ٩/ ٩٨ وفي حواشيه مصادر أخرى.

(٢) التاريخ الكبير ١/ ٥٧ . ومابين حاصرتين من (ب).

(٣) الذي روى عن يحيى بن سعيد وحميد الطويل هو محمد بن جعفر الزرقي، لا غندر.

(٤) في (خ): وقيل له.

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٧، مروج الذهب ٦/ ٢٨٧، تاريخ بغداد ١٦/ ٩، المنتظم ٨/ ٣١٨ و٩/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام ٤/ ١٢٢٣، السير ٩/ ٢٨٦.

ذكرنا اختلافَ العلماءِ في مولده، فقال الطبريّ[١]: سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة، وقال ابنُ أبي الدنيا: سنةَ تسعٍ وأربعين ومئة.

ذِكر طرَف من أخباره:

قد ذكرنا منها جملةً متفرِّقة في الكتاب، رُوي عن الجاحظ أنَّه كان يقول:] اجتمع له ما لم يجتمعْ لغيره من الخلفاء [من جدٍّ وهزل]: وزراؤه البرامكة لم يُرَ مثلُهم شَرَفاً وسخاء، وقاضيه أبو يوسفَ وحفصُ بن غياثٍ ونوحُ بن درَّاج، وشاعرُه مروان بن أبي حَفْصة [كان في عصره مثلَ جَرير]، ونديمُه عم أبيه العباسُ بن محمَّد [صاحبُ العبَّاسية] وكان عظيماً، وحاجبُه الفضل بنُ الربيع، أشدُّ الناس حزماً، ومغنِّيه إبراهيمُ الموصلي، أوحدُ زمانه في صناعته، وزوجتُه زُبيدة بنت جعفر، أرغبُ الناس في خيرٍ وأسرعُهم إلى كل برّ، وواعظه محمَّد بن السمَّاك ومنصورُ بن عمار، وأولادُه: الأمين، والمأمون، والمؤتَمَن، والمعتصم.

وقال إبراهيمُ بن محمَّد [بن عَرَفة][٢]: كان هارونُ يصلِّي كلَّ يوم وليلةٍ مئةَ ركعةٍ نافلة، ويتصدَّق من صُلب ماله كلَّ يومٍ بألف درهم، وكان إذا حجَّ حجَّ معه بثلاث مئةٍ من العلماء والأَعيان، وفي العام الذي لا يحجُّ فيه يحجُّ أيضاً بثلاث مئة، ولم يَفُتْه الحجُّ إلَّا أعواماً يسيرة.

[ذِكر حجَّاته:

قال خليفة:] حجَّ [هارونُ في] سنة سبعين، وسنةِ ثلاث وسبعين، وأربعٍ وسبعين، وخمس وسبعين، وتسعٍ وسبعين، وسنةِ ثمانين[٣]، وسنة ستٍّ وثمانين ومئة.

وحُفظ عنه مِن بعض حجَّابه أنَّه دخل البيتَ، وقام على أصابعه وقال: يا مَن يملك حوائجَ السائلين، ويعلم ضمائرَ الصامتين، لكلِّ سائل منك ردٌّ حاضر أو إجابة، ولكلِّ صامت منك علمٌ محيط بباطن حالِه، يا ذا المواعيدِ الصادقة، والأَيادي الفاضلة، والرحمةِ الواسعة، صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل محمَّد، واغفر لنا ذنوبَنا، وكفِّر عنا

(١) في تاريخه ٨/ ٢٣٠ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) مابين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ١٠ .

(٣) كذا في (ب) و (خ)، والصواب: إحدى وثمانين، كما في تاريخ خليفة ص٤٥٦.

سيئاتِنا، يا مَن لا تَضرُّه الذنوب، ولا تخفى عنه الغيوب، اللهمَّ خِر لي في جميع أمري، يا مَن خشعت له الأصواتُ بفنون اللغات، يسألونك الحاجات، إنَّ من حاجتي عندك أن تغفرَ لي إذا توفَّيتني وصرتُ في لحدي، وتفرَّق عني أهلي وولدي، اللهمَّ أَحينا سعداءَ مرزوقين، ولا تجعلْنا أشقياءَ محرومين.

وقال الفضل بنُ الربيع: حججنا مع هارون، فقيل له: في جبال تهامة عابدٌ مجاب الدَّعوة قد اعتزل الناس، فقال: اِعدل بنا إليه، فجئناه، وإذا به جالسٌ على الأرض، فسلَّم عليه، وجلس بين يديه، وقال له: أَوصِني، فو اللهِ لا عصيتُك أبداً. فلم يردَّ عليه جواباً، فلمَّا انصرف هارون، قيل للعابد: ما منعك أن تأمرَه بتقوى اللهِ وقد قال لك: أوصِني بمهما شئت، وحلف لك. فخطَّ في الرمل خطًّا، فإذا هو: إنِّي أعظمت اللهَ أن يأمُره بأمرٍ فيعصيَه ويطيعَني.

وغزا بلادَ الروم فأَوغل فيها، فكتب إليه ملكُ الروم: لآتينَّك بكلِّ صليبٍ في مملكتي، فكتب على رأس كتابه: وسيعلم الكافرُ لمن عُقبَى الدار. ودخل بلادَ الروم غيرَ مرَّة، وغزا عدَّةَ غزوات، وأَناخ على خليج القُسطنطينية.

وكان جَوَاداً سَمْحاً، يحبُّ أهلَ العلم والأدبِ والفقه، ويُجيز بمئة ألفٍ وألفِ ألف، وكان يتقفَّى آثارَ المنصور إلَّا في العطاء؛ فإنَّه لم يكن خليفةٌ قبله ولا بعده أكرمَ منه، ثم المأمونُ بعده.

وقال منصورُ بن عمار: ما رأيتُ أسرعَ دمعةً من هارونَ عند الذِّكر[1].

[وروى الخطيبُ[2] بإسناده عن عليِّ بن المَديني قال:] قال أبو معاويةَ الضَّرير: أكلتُ مع هارونَ يوماً طعاماً، فصبَّ على يدي رجلٌ لا أعرفه، فلمَّا فرغ قال لي: يا أبا معاوية، هل تدري مَن صبَّ على يدك؟ قلت: لا، قال: أنا، فاسترجعت، فقال: لا بأسَ عليك، إنَّما فعلته إجلالاً للعلم.

---

(١) عبارته في تاريخ بغداد ١٦/ ١٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٩: ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة: فضيل بن عياض، وأبو عبد الرحمن الزاهد، وهارون الرشيد.

(٢) في تاريخه ١٦/ ١٢، وما بين حاصرتين من (ب).

قال: وما حدَّثتُه بحديثٍ عن النبيِّ ﷺ إلَّا وقال: صلى اللهُ على سيِّدي محمَّد ﷺ.

وحدَّثته يوماً بحديث أبي هريرةَ، وأنَّ موسى لقي آدمَ فقال له موسى: أنت الذي أخرجتَنا من الجنة، وعنده بعضُ عمومته، فقال: أين التقيا؟ فأمر هارونُ بقتله، ثم حبسه، [قال:] فدخلتُ عليه الحبسَ ولُمْته، فقال: واللهِ ما سمعتُه من أحد، وإنَّما هو شيءٌ جرى على لساني، قال: فأخبرت هارون، فقال: خفت أن يكونَ بعضُ الزنادقةِ ألقى إليه هذا الكلام، وإلَّا فأنا أعلم أنَّ القرشيَّ لا يتَزَنْدَق، وأطلقه.

[قلت: وأيُّ إشكالٍ في هذا السؤال، أليس قد ثبت أنَّ الله تعالى أخرج ذريَّة آدمَ مثل الذَّرِّ بأرض نَعمانَ وقال لهم: «ألست بربكم» قالوا: بلى. وأخذ ميثاقَ الأنبياءِ على تصديق نبيِّنا ﷺ وقد كان موسى في الجملة، فقد عاتبه موسى على اعتبار[1]، ويحتمل أنَّ روحَ موسى وآدمَ اجتمعا بعد المماتِ فعاتبه موسى، وليس في سؤال عمِّ هارونَ ما يُنكَر عليه، وإنَّما عظَّم القصة سدًّا لهذا الباب على مَن لم يفهم الجواب.]

وقال [أبو معاويةَ الضرير:][2] قال لي هارونُ يوماً: ما أجلُّ المراتب؟ فقلت: ما أنت فيه، قال: أجلُّ مني رجلٌ في حلقةٍ يقول: حدَّثنا فلانٌ عن فلان عن النبيِّ ﷺ.

[وكان هارونُ كثيرَ الخوفِ من الله والبكاء] وقال ابنُ المبارك: عشق هارونُ جارية، فراودها عن نفسها، فقالت: إنَّ أباك ألَمَّ بي، فتركها، وشُغف بها حتى قال: [من الوافر]

أرى مـاءً وبـي عَـطَـشٌ شـديـدٌ ولـكـن لا سـبـيـلَ إلـى الـورودِ[3]

وأخبر أبا يوسفَ القاضيَ بشدَّة شغفه بها، فقال: أَوكلَّما قالت جاريةٌ كذا تصدِّق! فقال هارون: ما فوق الخلافةِ مرتبة.

ثم قال ابنُ المبارك: ما أدري مم أعجب، من عِفَّة الجارية ورغبتِها عن الخلافة، أو من امتناع هارونَ عنها مع شدَّة الشغفِ والعشق والقدرةِ والشَّباب والملك، أو من جرأة أبي يوسفَ حيث أمره بالهجوم عليها؟!

(١) حديث المعاتبة المذكور أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣ أن القائل يحيى بن أكثم. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) هي ثلاثة أبيات في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩ . وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ١٧ .

وقال الأصمعّي: عارضه بعض الزهَّاد فقال له[١] في الطريق: يا هارون، اتقِ الله، فوقف عليه وقال: ما أنصفتَني، قال الزاهد: ولِم؟ قال: لأنَّ فرعونَ كان أخبثَ مني حيث قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] ولا أنت خيرٌ من موسى، ولمَّا بعثه اللهُ إلى فرعونَ قال له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] أي: كنِّياه، قال: صدقت، قال: فلمَ عرَّضتَ نفسَك للهوان فخاطبتَني بأغلظِ الألفاظِ، أأمِنْتَ عقوبتي؟! فقال الزاهد: أخطأتُ وأستغفرُ الله، وحلمُك يسعني، فقال هارون: غفر اللهُ لك، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يقبلَها وقال: مالي واللهِ إليها من حاجة، وانصرف ولم يقبلْها.

و[قال الأصمعيّ:][٢] اجتاز هارونُ بالبادية، وإذا بكوخٍ فيه عجوز، فسلَّم عليها وقال: ممَّن العجوز؟ فقالت: من طيِّئ، فقال: ما منع طيِّئاً أن يكونَ فيهم مثلُ حاتم، فقالت: الذي منع الخلفاءَ أن يكونَ فيهم مثلُك، فأعطاها مالاً عظيماً كان معه، فاستكثره بعضُ مَن حضر، فقال: واللهِ لو أعطيتُها الخلافةَ ما أوفيتُها.

وقال الأصمعيّ: دخلتُ عليه يوماً فقال لي: كيف بتَّ؟ فقلت: بليل النَّابغة، فقال: لعلك تريد قولَه: [من الطويل]

فبتُّ كأنِّي ساوَرَتْني ضَئيلةٌ ... من الرُّقْش في أنيابها السُّمُّ ناقعُ[٣]

قلت: نعم.

وقال إسحاقُ الموصلي: كان الخلفاءُ إذا عطسوا شُمِّتوا، فعطس هارونُ يوماً، فشمَّته جلساؤه، فقال لهم الفضلُ بن يحيى: لا تكلِّفوا أميرَ المؤمنين بعدها جواباً. فمُحيت هذه السُّنَّة.

وكان الخلفاءُ إذا مَرِضوا دخل عليهم جلساؤهم فسألوهم عن حالهم، فقال الفضلُ ابن يحيى: اِرفعو هذا عن أمير المؤمنين، واجعلوا سؤالَكم عنه دعاءً له.

---

(١) في (خ): لي، والقصة غير مذكورة في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) المنتظم ٨/ ٣٢٣، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص٨٠.

وقال الأصمعي: خاطبتُ هارونَ يوماً مخاطبةَ مُدِلّ، فقال لي: يا عبدَ الملك، الدالّة تُفسد الحُرمة، وتُسقط المنزلة.

وقال المُفَضَّل الضَّبِّي: استدعاني هارونُ يوماً، فدخلتُ عليه، والأمينُ جالس عن يمينه والمأمونُ عن شماله والكسائيُّ عنده، فقال: يا مفضَّل، كم في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]اسم؟ فقلت: ثلاثةُ أسام: الكافُ لرسول اللهِ ﷺ، والهاءُ والميمُ للكفار، والياء، وهي لله تعالى. فقال: صدقتَ يا مفضَّل، هكذا أفادنا هذا الشيخ، يعني الكِسائي. ثم قال: يا مفضَّل سَلْ، فقلت: ما معنى قولِ الفرزدق:

أَخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكمُ لنا قَمراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ[١]

فقال: أراد بقوله: لنا قمراها، أي: الشمس والقمر، كما قالوا: سنَّة العُمَرَين [: سُنَّةَ أبي بكر وعمر][٢]. قال المفضَّل: فلمَ استحسنوا هذا؟ يعني قولَهم: سنَّة العُمَرين، فقال: لأنَّه متى اجتمع شيئان من جنسٍ واحد وكان أحدُهما أخفَّ على اللسان، غلَّبوه وسمَّوا الثانيَ باسمه، ولمَّا كانت أيامُ عمرَ أكثرَ من أيام أبي بكرٍ، وفتوحُه أكثر، واسمُه أخفَّ، غلَّبوه وسمَّوا أبا بكرٍ باسمه. وقال: وأمر لي بمئتَي ألفِ درهم.

وقد اختلفوا في قولهم: سيرةُ العمرين، قال معاذٌ الهَرَّاء: لقد قيل: سيرةُ العمرين قبل عمرَ بن عبدِ العزيز؛ لأنَّهم قالوا لعثمانَ يومَ الدار: نسألك سيرةَ العمرين. وسُئل قتادةُ عن عتق أمَّهات الأولاد [فقال: أعتق العُمَرَان فما بينهما من الخلفاءِ أمهاتِ الأولاد][٣]. ففي قول قتادةَ أنه عمرُ بن الخطاب وعمرُ بن عبد العزيز؛ لأنَّه لم يكن بين أبي بكرٍ وعمرَ رضوانُ الله عليهما خليفة.

وقال الفضلُ بن الربيع: أحضر هارونُ رجلاً ليولِّيَه القضاء، فقال له: ما أنا فقيه، فقال: فيك ثلاثُ خصال: شرف، والشرفُ يمنع صاحبَه من الدَّناءة، ولك حِلم، وهو يمنعك من العَجَلَة والسَّفَه، ومَن لم يعجل ولم يَسفَه قلَّ خطؤه، وأنت رجلٌ تشاور في

(١) الديوان ١/ ٤١٩.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٦١.

(٣) ما بين حاصرتين من إصلاح المنطق ص٤٤٥.

أمرك، ومَن شاور كثر صوابه، وأمَّا الفقه، فسنضمُّ إليك رجلاً تتفقَّه به. ثم ولَّاه، فلم يجدْ فيه مَطْعَناً.

وجاء رجلٌ يوماً يطلب من الرشيد حاجة، فوافاه وهو يصلِّي ويتضرَّع ويدعو اللهَ تعالى، فخرج الرجلُ وكان قد لَمَحه، فلما سلَّم قال: عليَّ بالرجل، فجيء به، فقال: ما الذي أتى بك، وما الذي أَعجَلَك؟ قال: جئتُك في حاجة، فوجدتك تسأل غيرَك وتتضرَّع إليه، فقلت: كلُّنا في هذا سواء، ومالي لا أسأل مَن يسأله هذا! فانصرفت لأسألَ الذي سألتَه. فبكى هارونُ وسأله عن حاجته، فامتنع الرجلُ من ذِكرها، فقال: لا بدّ، فأَخبره، فقضاها له.

ودخل عليه ابنُ السمَّاك يوماً وهو يأكل بملعقة فضَّة فقال: أُخبرنا عن جدِّك عبدِ الله ابن عباسٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. أنَّه أكلُ الرجلِ بيده. فرمى هارونُ بالملعقة وأكل بيده.

[وقال إسحاقُ الموصلي: ما رأى أحدٌ هارونَ يشرب النَّبيذ، وإنما كان يجلس من وراء السِّتارة. وهو أوَّل مَن رتَّب المغنِّين والندماءَ طبقاتٍ ومنازل.

ذِكر قصَّته مع الشيخ الأُموي:

ذكرها القاضي التنوخيُّ شيخ الخطيبِ في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»[1] مطوَّلةً، وقد اختصرتُها، فقال التَّنوخي:] رُفع إلى هارونَ أنَّ رجلاً بدمشقَ من بقايا أولادِ الخلفاءِ بني أمية، رفيعَ القدر، عظيمَ الجاه، كثيرَ المال والأولادِ والغلمان، يركبون الخيل، ويحملون السَّلاح، ويغزون الروم، وهو في حالٍ يضاهي بها الخلفاءَ والأمراء، جَوَاداً سخيًّا، كثيرَ الصنائع، وافرَ العطاء، [وكتب أصحاب الأخبار إلى هارون أنه] لا يؤمَن منه فَتْقٌ يتعذَّر رَتْقُه، وهارونُ يومئذٍ بالكوفة.

قال منارةُ صاحبُ الخلفاء: فدعاني [هارون] وقال لي: يا منارة، قد كثَّر عليَّ أصحابُ الأخبار أنَّ بدمشقَ رجلاً من صفته كذا وكذا، وقد أهمَّني أمره، وقد نَدَبْتُك إليه، فانظر كيف تكون، فإنِّي قد مُنعت النوم، فاخرج الساعةَ على البريد، وخذ هذه القيود، فإذا نزلتَ بالرَّجل، فقيِّده واحمله إليّ، وإنْ أبى، فهذا كتابٌ إلى عامل دمشقَ

(١) ٢/ ٣٤. وما بين حاصرتين من (ب).

بقبضه، واجعله في شِقِّ مَحْمِلٍ وأنت في الشقِّ الآخَر، وقد أجَّلتك ثلاثةَ عشرَ يوماً: ستَّةً لرَواحك، وستَّةً لعودك، ويوماً لمقامك. واحفظ ما يقول حرفاً حرفاً، وما يصنع، إلى أن تَقدمَ به عليّ.

قال منارة: فخرجتُ على البريد أَسير ليلاً ونهاراً، حتى قدمت دمشقَ في اليوم السابعِ، فسألتُ عن داره، فدُللت عليها، فأتيتها، وإذا بحاشية عظيمة، وغاشيةٍ كثيرة، وحِشْمةٍ مثل حشمةِ الملوك، فدخلتها بغير إذن، فقال أصحابهُ لبعض مَن معي: مَن هذا؟ قالوا: منارة رسولُ أمير المؤمنين إلى صاحبكم، فكفوا، فلمَّا صرت في صحن الدار، رأيتُ مجلساً بَهْواً فيه قومٌ جلوس، فقاموا إليَّ ورحَّبوا بي وأكرموني، فقلت: أفيكم فلان؟ قالوا: نحن أولادُه وهو في الحمَّام، فقلت: استعجلوه، فمضى بعضُهم فأخبره، وجعلت أتفقَّد أحوالَ الدار والحاشيةِ وهي تموج بأهلها، وإذا بالشيخ قد أقبل بعد أن أطال وارتبت به وقلت: ربَّما توارى، وإذا حوله كهولٌ وصبيان، وهم أولادُه، وغلمانٌ كثيرة، فجاء فسلَّم سلاماً خفيًّا[1]، وسألني عن أمير المؤمنين، فأخبرتُه بما يجب، وجاؤوا بأَطباق الفاكهة، فقال لي: تَقدَّم يا منارةُ فكل، فقلت: مالي إلى الأكلِ من حاجة، فلم يعاودْني، وأقبل هو يأكل والحاضرون، ثم غسل يدَه، وجاؤوا بالموائد التي لم أرَ مثلَها إلَّا للخلفاء، فقال: تقدَّم يا منارةُ فكل، فقلت: مالي إلى الأكل، فتأمَّلتُه، وإذا به يأكل أكلَ الخلفاء، ولا يُرفع من بين يديه شيءٌ إلَّا وُهب[2]، فقلت في نفسي: هذا جبَّار عنيد، لا يدعوني إلَّا باسمي كما يدعوني الخلفاء، وقد تهاون بي، وربَّما امتنع من الشُّخوص معي، وكيف أَصنع وأنا في منزله!

ثم غسل يدَه، وجاؤوا بالبَخُور، فتبخَّر وقام إلى الصلاة، فأَطال، ودعا واستغفر وابتهل، وصلَّى صلاةً حسنة، ثم انفتل من محرابه وقال: يا منارة، ما الذي أَقدمك؟ فأخرجت إليه كتابَ أمير المؤمنين، فلمَّا قرأه، دعا أولادَه وأهله وخَدَمه وحاشيته، فلم أشكَّ أنَّه يريد أن يوقعَ بي، فلمَّا تكاملوا، حلف بالأَيمان المغلَّظة ألَّا يجتمعَ منهم اثنان في موضع، وأن ينصرفوا إلى منازلهم، ثم قال لهم: هذا كتابُ أمير المؤمنين

(١) في الفرج بعد الشدة: خفيفاً.

(٢) في (خ) ونسخة من الفرج بعد الشدة: نهب. وفي هذا الموضع سقط في (ب).

يدعوني بالمَصير إليه، ولست أُقيم بعد نظري فيه لحظةً واحدة، فاستوصُوا بالحُرَم خيراً، ولا يتبعْني منكم أحد، هاتِ يا منارة قيودَك، فدعوت بها، فمدَّ رجليه، فقيَّدته، ثم أمرتُ أصحابي فحملوه فألقَوه في شِقِّ محمل، وركبت في الشقِّ الآخر، وسرنا وليس معه أحدٌ من غلمانه، فشرع يحدِّثني بانبساط، وكلَّما مررنا على بستانٍ يقول: هذا لي وفيه من غرائب الأشجارِ والثِّمار كذا وكذا، فاغتظتُ منه وقلت: قد اشتدَّ تعجُّبي منك، ألستَ تعلم أنَّ أمير المؤمنين قد أهمَّه أمرُك حتى أرسلَ إليك مَن انتزعك من بين أهلِك وولدك وحَشَمك ومالِك ومن جميع ما كنتَ فيه، وقد بقيتَ فرداً وحيداً مقيَّداً ما تدري ماذا تصير إليه، وأنت فارغُ القلب تصف بساتينَك وضِياعك، لقد كنتَ عندي شيخاً فاضلاً!

فاسترجع وقال: لقد أخطأتْ فِراستي فيك، ظننتك رجلاً كاملَ العقل، وأنَّك ما حللت من الخلفاء هذا المحلَّ إلَّا بعد أن عرفوك بذلك، وكلامُك يشبه كلامَ العوامّ، وعقلُك يشبه عقولَهم، واللهِ إنِّي على ثقةٍ من الذي ناصيةُ أمير المؤمنين بيده، وأنَّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا ولا لغيره إلَّا بإذن الله، ولا ذنبَ لي عنده أخافه، وإذا عرف سلامتي وطاعتي، وأنَّ الحسَّاد سَعوا بي إليه بالأباطيل، لم يستحلَّ دمي، وردَّني إلى أهلي مكرَّماً، وإنْ كان قد سبق في علم اللهِ تعالى أن تبدرَ منه إليَّ بادرة وقد حضر أجلي، فلو اجتهد أهلُ السماءِ والأرض أن يصرفوا ذلك عنِّي ما استطاعوا، فلمَ أتعجَّل الهمَّ وأتسلَّف الفكرَ فيما قد فُرغ منه، وإنِّي حسن الظنِّ بالله، وأين الرِّضا والتسليمُ والتفويض لأوامر الله الخالق الرازقِ الضارِّ النافع.

ثم صمت فلم يكلِّمني بعدها كلمة، وأقبل على العبادة وقراءةِ القرآن والذِّكر والتسبيح، حتى وصلنا الكوفةَ في اليوم الثالثَ عشر، وإذا النُّجب قد استقبلتني على فراسخَ يتحسَّسون خَبري، فتقدَّمتُه ووصلت إلى أمير المؤمنين، فقال: هيه، حدِّثني حديث الرجلِ كأني حاضر، فحدَّثته الحديثَ، وما خاطبني به لمَّا خرجنا من دمشقَ، وسكوتَه عني وعدمَ اكتراثه، ووجهُه يتربَّد والغضبُ يلوح عليه، حتى حدَّثته بمخاطبتي له وما أجابني به واشتغالِه بالعبادة، فرقَّ وقال: صدق والله، هذا رجلٌ محسود على النِّعمة مكذوبٌ عليه، لقد آذيناه وأزعجناه وروَّعناه وأهلَه، بادر فحُلَّ قيودَه وأتني به مسرعاً.

قال: فخرجتُ فنزعت قيودَه وأدخلتُه، فسلَّم عليه بالخلافة، فما هو إلَّا أن رآه حتى رأيت ماءَ الحياة يجول في وجه أميرِ المؤمنين، وردَّ عليه ردًّا جميلاً، ورحَّب به وأَدناه وأمره بالجلوس، وسأله عن حاله وقال: بلغنا عنك فضلٌ وهيبة، وأمورٌ أحببنا معها أن نراك ونسمعَ كلامَك ونُحسنَ إليك، فاذكر حاجتَك، فأجاب جواباً جميلاً، وشكر شكراً كثيراً، وقال: حاجتي أن تردَّني إلى أهلي وولدي وبلدي، فقال: نفعل ذلك، ولكن سَلْ ما تحتاج إليه من مصالح جاهِك ومعاشك، فقال: عمَّال أمير المؤمنين عادلون منصفون، وقد استغنيت بعدله عن سؤالي غيرَ ذلك، وأموري منتظمة، وأحوالي مستقيمة، وأنا وأهلي وولدي إنَّما نعيش في ظلِّ أميرِ المؤمنين، فأمر له بمال، فقال: أَوَ يعفيني أميرُ المؤمنين؛ فإنِّي عنه في غنًى، فقال: يا منارة، سِرْ به مكرَّماً إلى بلده كما أتيتَ به، فإذا أوصلتَه إلى المجلس الذي أخذتَه منه، فدعْه وارجع، فقلت: سمعاً وطاعة، وفعلت ذلك.

ذِكر مقامات العلماءِ بين يديه:

[قد ذكرنا اجتماعَه بالفُضَيل بن عياض، وكان الفضيلُ يدعو له ويقول: لو كانت لي دعوةٌ مستجابة لادَّخرتها له أو للإمام][1].

وقال عبدُ الرَّزاق بن همَّام الصَّنْعاني[2]: كنا يوماً عند الفضيل، فمرَّ هارونُ في الطَّواف، فقال الفضيل: الناسُ يكرهون هذا وما في الدنيا أعزُّ عليَّ منه، وددتُ أنَّ اللهَ زاد من عُمري في عمره، فشقَّ ذلك على أصحاب الفضيل، ولم يتجاسروا أن ينطقوا بكلمة، فلمَّا مات هارونُ، وظهرت الفتنُ بعده، والقولُ بخلق القرآنِ، وحملُ المأمون الناسَ على ذلك، قالوا: كان الفضيلُ أعلمَ بما يَحدُث بعده.

[مقام لمنصور بن عمار:

حكى الفضْل بن الربيع قال: دخل عليه منصور فأدناه، حتى ألزق رُكبتيه بركبتيه، فقال له منصور: لَتَواضُعك في شَرَفك أحبُّ إلينا وأحسن من شرفك، فقال: يا أبا

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب): وروى ابن عن عبد الرزاق الصنعاني، والمثبت من (خ)، والخبر أخرجه الخطيب في تاريخه ١٦/ ١٧ عن ابن الفضل بإسناده إلى عبد الرزاق، وجمع المصنف أو المختصر هنا بين خبرين ذكرهما الخطيب متتابعين.

السَّريّ، عِظْني وأوجز، فقال: مَن عَفَّ في حاله، وواسى من ماله، وعدل في سُلطانه؛ كتبه الله من الأبرار، فبكى هارون وقال: زدني، فقال: يا أمير المؤمنين، لو طلبتَ شَربة ماء فلم توجد إلا بنصف الدنيا أكنتَ تشتريها؟ قال: نعم، قال: فلو تعذّرت أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر ، قال: نعم، فقال: قبَّح الله دنيا تُباع وتشترى بشربةٍ من ماء وبَوْلة، فبكى هارون.

وقيل: إن ابن السَّمَّاك هو الذي قال له هذا.]

وقال الفضل بنُ الربيع: دخل ابن السمَّاك على الرشيد فقال له: اتَّقِ الله، واعلم أنَّك موقوفٌ غداً بين يدي الله، ثم مَصروفٌ إلى إحدى منزلَتين لا ثالثةَ لهما، وهما جنَّة أو نار. فبكى هارونُ حتى اخضلَّت لحيتُه. قال الفضل: فقلت له: سبحانَ الله! وهل يتخالج في سرِّ أحدٍ أنَّ أمير المؤمنين مَصروفٌ إلَّا إلى الجنَّة إن شاءَ الله؛ لقيامه بحقِّ الله، وعدلِه في عباده! قال: فلم يحفِل ابن السمَّاك بقولي وقال: إن هذا -وأشار إليّ- ليس معك ولا عندك في ذلك اليوم، فاتَّقِ اللهَ وانظر لنفسك.

فبكى هارونُ حتى أَشفقوا عليه، وأُنكست فلم أنطقْ بكلمة.

واستسقى الرشيدُ ماء، فأُتي بشربةٍ من ماء، فأَهوى إليها ليَشْرَبَها، فقال له ابنُ السمَّاك: على رِسلك، بقرابتك من رسول اللهِ ﷺ، لو مُنعت من هذه الشَّرْبةِ بكم كنتَ تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، فقال: اشرب، فلمَّا شربها قال: بقرابتك من رسول اللهِ ﷺ، لو مُنعت خروجَها من بَدَنك بماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي، فقال: إنَّ مُلكاً قيمتُه شَربة ماءٍ لَجدير ألَّا يُنافَسَ فيه، فبكى هارون[1].

[مقام لمالك بن أنس الفقيه:]

وقال إبراهيمُ النَّهاوندي[2]: قدم هارونُ المدينة حاجًّا، فأرسل إلى مالك بنِ أنسٍ مع البرمكيِّ يقول: احمل «الموطَّأ» لنسمعَه عليك، فقال مالكٌ للبرمكي: قل له: العلمُ يؤتَى ولا يأتي. فجاء البرمكيُّ فأخبره وعنده القاضي أبو يوسف، فقال له: يا أميرَ

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١، وما بين معكوفين من (ب).

(٢) في (ب) وما بين معكوفين منها: روى إبراهيم النهاوندي قال؟

المؤمنين، يبلغ أهلَ العراق أنَّك بعثت إلى مالكٍ في أمرٍ فخالفك فيه! اعزم عليه.

فبينما هم على ذلك، إذ جاء مالكٌ فدخل وسلَّم وجلس، فقال هارون: يا ابنَ أبي عامر، أبعث إليك في أمرٍ فتخالفني فيه! فقال مالك: أخبرَني الزُّهري، عن خارجةَ بنِ زيد بن ثابت، عن أبيه قال: كنت أكتب الوحيَ بين يدي رسولِ الله ﷺ، فنزل قولُه تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] وابنُ أمِّ مكتوم حاضر، فقال: يا رسولَ الله، إنِّي رجلٌ ضريرٌ لا أقدر على الجهاد، وقد أنزل اللهُ هذه الآيةَ، قال زيد: وقلمي رَطْبٌ ما جفّ، فأخذ رسولَ الله ﷺ ما كان يأخذه عند نزولِ الوحي، فلمَّا سُرِّي عنه قال: يا زيد، اكتب: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[1]، يا أميرَ المؤمنين، فمن أجل حرفٍ واحدٍ بعث إليه جبريلَ من مسيرة خمسين ألفَ عامٍ أو خمسةِ آلاف عام، أفلا أُجِلُّ أنا العلمَ وأرفعه وقد رفعك اللهُ بحديث ابن عمِّك [رسولِ الله ﷺ، فلا تكن أوَّل مَن وضعه. فقام هارونُ وأتى بيتَ مالك][2] فلمَّا دخل جلس في مَرْتَبة مالك، فقال مالك: أدركنا الخلفاءَ يُعزُّون العلم، فنزل هارونُ وقعد بين يديه وسمع منه الموطَّأ.

[وفي رواية عبدِ الله بن عبدِ الحكم قال: حجَّ هارون، فدخل عليه مالك، فقال له: ينبغي أن تختلفَ إلينا حتى تَسمعَ صبيانُنا منك الموطَّأ، قال: فقال له مالك: إنَّ هذا العلمَ منكم خرج، فإن أعزَزْتُموه عزّ، وإن أذللتموه ذلَّ، قال: قال: فاخرج إلى المسجد ليسمعوه منك أو عليك، قال: فخرج مالكٌ، وجاؤوا إليه فسمعوه عليه][3].

وقال الأصمعي: حجَّ هارون، فأتى مالكاً ليسمعَ منه الموطَّأ، فحجبه ساعة، فغضب هارون، فلمَّا دخل عليه قال: يا أميرَ المؤمنين، عاهدت الله ألَّا أحدِّث إلَّا على وضوء، وإني كنت أتوضَّأ، فسُرِّي عن هارون. وقال مالك: لو أرسلتَ إليَّ لأتيتك، فقال هارون: العلمُ يؤتَى ولا يأتي. فأحضر مالكٌ الموطَّأ، فقرأه ابنُ أبي وهب، فأراد هارونُ أن يحملَ الناسَ عليه، فقال له مالك: إنَّ السلطان إذا حمل الناسَ على مذهبٍ تجافاه العوامّ، فسكت هارون.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٨٣٢) ومسلم (١٨٩٨).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، والخبر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٤٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

[مقام الشافعي عنده:

حكى الفضل بنُ الربيع قال:][1] رُفع إلى هارونَ أن الشافعيَّ يمنِّي نفسَه الخلافة، فاستدعاه وأراد أن يمتحنَه، فقال له: ما علمُك بكتاب الله؟ قال: عن أيِّ علمٍ يسأل أميرُ المؤمنين؟ عن تأويله أم عن تفسيره؟ أم عن علم مكِّيِّه أو مدنيِّه؟ أم علمِ ناسخِه أو منسوخه؟ ونحو ذلك. فقال له: ما علمُك بالأحكام؟ فقال: عن أيِّ الأحكامِ تسأل؟ عن الطَّهارة، أو الصلاة، أو الصوم، أو الزَّكاة، أو الحجّ، أو النِّكاح، أو الطلاق، أو البيوع، أو الجنايات، أو الوصايا؟ وعدَّد الأحكام. فقال: ما علمُك بالعربية؟ فقال: تسأل عن فروعها أو أصولِها؟ أو مذاهب العربِ فيها؟ قال: ما علمك بالطِّب؟ فقال: طبِّ الرُّوم أو اليونانِ أو العرب؟ فعجب هارونُ منه وقال: قد ادَّعيتَ دعاوى عريضةً فعِظني، فقال: على شرط رفعِ الحِشْمة، وتركِ الهَيبة، وقَبول النصيحة، قال: نعم، قال: اعلم أنَّ مَن أطال عِنانَ الأمل في الغِرَّة، طوى عِنانَ الحَذَر في المُهلة، ومَن لم يعوِّل على طريق النَّجاة، خسر يومَ القيامة، إذا امتدَّت إليه يدُ الندامة. فبكى هارونُ ووصله بمال.

وقال الأصمعي: سُعي بالشافعيِّ إلى هارونَ أنَّه لا يرى إمامته، وأنَّه يرى إمامةَ آل أبي طالب، وكان الشافعيُّ بمكَّة، فأرسل إليه فاستدعاه، فلمَّا دخل عليه قال: بلغني كذا وكذا، فقال: يا أميرَ المؤمنين، واللهِ لأَن أكونَ مع قومٍ يظنُّون أني من أنفُسهم، أحبُّ إليَّ من أن أكونَ مع قومٍ يرون أني عبدٌ لهم.

فاستحسن كلامَه وولَّاه القضاءَ على اليمن، فلبث هناك مدَّة، ثم قدم مكَّة ومعه عشرةُ آلافِ دينار، فضرب خيمةً بذي طُوى خارجَ مكةَ ففرَّقها في فقراء الحرم، فقام ولم يبقَ معه دينارٌ ولا درهم [وسنذكر معنى قول الشافعيِّ: أحبُّ إليَّ من أن أكونَ مع قومٍ يرون أني عبدٌ لهم، في ترجمة الشافعي.

---

(١) في (خ): وقال الفضل بن الربيع، والمثبت من (ب)، والخبر في تاريخ دمشق ٦٠/٤٠٦ و٤٤٠ مطولاً من طريق ليس فيه ذكر الفضل.

مقام رجل من الأبدال:

حكى الفضلُ بن الربيع قال:][1] خرج خادمٌ من دار سليمانَ بنِ أبي جعفرٍ المنصورِ وبيده عودٌ ليدخلَ به دار هارونَ لجاريةٍ لسليمان، فمرَّ على شيخ يلقط النَّوى، فكسر العود، وتعلَّق به الخادم، وبلغ هارونَ فقال: اقتلوه، فقال له سليمان: أَلَا تسمع كلامه[2]؟ فقال: أَحضِروه، فدخل وفي يده كيسٌ فيه نوًى يلتقطه ويتقوَّت بثمنه[3]، فقال له هارون: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: رأيتُ منكراً فغيَّرته، وأنت وآباؤك تقولون على المنابر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وقد قال عليه السلام: «مَن رأى منكراً فليُزِلْه....»[4] الحديثَ، فهابه هارونُ ولم يكلِّمه، فقام الرجلُ وخرج، فقال هارون للخادم: الحقه بِبَدرة[5]، فلحقه بها، فقال: قل له يردُّها على من أخذها منه، ثم ولَّى وهو يقول: [من الوافر]

أرى الدُّنيا لمن هي في يديهِ ... بلاءً كلَّما كَثُرت لديهِ
تُهين المُكرِمين لها بصُغرٍ ... وتُكرم كلَّ مَن هانت عليه
إذا استغنيتَ عن شيءٍ فدعْهُ ... وخذ ما أنت محتاجٌ إليه[6]

ذِكر مقامات الشُّعراء بين يديه:

قال أحمد بن سيَّار الجُرْجاني: دخلت أنا وأبو محمَّد التيميُّ[7] وابن رَزين الخُزاعي[8] وأشجعُ بن عمرٍو السُّلَميّ[9] على الرشيد بالرقَّة وهو في القصر الأبيض، وقد ضرب أعناقَ قومٍ في تلك الساعة، فتخلَّلنا الدمَ حتى صرنا إليه، فأنشده أشجع:

---

(١) في (خ): وقال الفضل بن الربيع، والمثبت من (ب).

(٢) في إحياء علوم الدين ٢/ ٣١٦ أن هارون هو الذي تمهل بأمره وطلب مناظرته.

(٣) في (خ): به وبثمنه، والمثبت من (ب)، وانظر الإحياء.

(٤) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ...» ولم نقف عليه بلفظ: فليزله.

(٥) البدرة: عشرة آلاف درهم. مختار الصحاح (بدر).

(٦) الأبيات لأبي العتاهية، وهي في ديوانه ص٤١٠-٤١١، ومن هنا إلى ص٢٠٤ ليس في (ب).

(٧) في (خ): التميمي، والمثبت من مجالس ثعلب ص٣٧٩، والأغاني ١٨/ ٢١٤.

(٨) كذا في (خ) ونسخة من الأغاني، وفي مطبوعه: الخراساني، وفي مجالس ثعلب: الحراني.

(٩) في (خ): الأسلمي. وهو خطأ.

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ نَشَرَت عليه رداءها الأيامُ
قصرٌ سُقوفُ المُزن دون سُقوفه فيه لأَعلام الهُدى أعلام
يُثني على أيَّامك الإسلامُ والشاهدان الحِلُّ والإحرام

فلمَّا بلغ إلى قوله:

وعلى عدوِّك يا ابنَ عمِّ محمَّد رَصَدان ضوءُ الصُّبحِ والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعْتَهُ وإذا هدا سلَّت عليه سيوفَك الأحلام

وكان هارونُ متّكئاً، فجلس وقال: أحسنت واللهِ، هكذا تُمدَح الملوك، وكان عنده سعيدُ بن سالم[1] الباهليُّ حاضراً، فأومأ إلى أشجعَ أن اقطع؛ لعلمه أنَّه لا يأتي بمثل هذين البيتَين، فلم يقطع وأَنشد ما بعدهما، ففتر هارونُ وبَطَل طَرَبُه، وأومأ إلى النَّمَري فأنشده، فقال سعيد بنُ سالم: يا أميرَ المؤمنين، لو خَرِس بعدهما لَكان أشعرَ الناس، وأمر له بمئتي ألفِ درهم.

وقال أشجع: لمَّا فتح الرشيدُ هرقلةَ وذلك في عيد رمضان، أنشدتُه وقلت: [من البسيط]

لا زلتَ تَنْشُر أعياداً وتَطويها تمضي بها لك أيامٌ وتَثنيها
العيدُ والعيد والأيامُ بينهما موصولةٌ لك لا تَفنى وتُفنيها[2]
ولْيَهْنِكَ الفتحُ والأيام مُقْبِلَةٌ إليك بالنَّصر مَعْقودٌ نَواصيها
أمستْ هِرَقْلَةُ تَهوي من جوانبها ونـاصرُ اللهِ والأيامِ[3] يرميها
مَلَكْتَها وملكتَ الناكبين بها[4] بنصرِ مَن ملك الدنيا ومَن فيها
ما روعي الدِّين والدُّنيا على قَدَم[5] بمثل هارونَ راعيه وراعيها

(١) في (خ): سلمة. وسيأتي بعد قليل على الجادة.

(٢) في (خ): ولا تفنيها. وهو خطأ. والقصيدة في الأغاني ١٨/ ٢٤٦، وليس في مطبوعه هذا البيت، وهو في نسخة منه كما أشار محققه. وانظر الشعر والشعراء ٢/ ٨٨٤، وطبقات ابن المعتز ص٢٥٣، وديوان المعاني ص٩٢، والتذكرة الحمدونية ٤/ ١٤٠

(٣) في المصادر: والإسلام.

(٤) في الأغاني والتذكرة الحمدونية: ملكتها وقتلت الناكثين بها. وهو غير موجود في باقي المصادر.

(٥) كذا في الأغاني، وفي التذكرة الحمدونية: قدر. وفي ديوان المعاني: ما قارع الدين والدنيا عدوهما.

وكان أبو نُواس يَحْسُد أشجَع ويدَّعي أنَّه دَعيّ، وهو القائلُ فيه: [من الخفيف]

قل لمن يَدَّعي سُليماً سَفَاهاً ... لستَ منها ولا قُلامةَ ظُفْرِ
إنَّما أنت مُلْصَقٌ مثل واوٍ ... أُلصِقتْ في الهجاءِ ظُلماً بعَمرو[1]

ومن شعر أشجع: [من المتقارب]

أتَصبرُ يا قلبُ أم تَجزَعُ ... فإنَّ الديارَ غداً بَلْقَعُ
غداً يتفرَّق أهلُ الهوى ... ويصنع ذو الشَّوق ما يصنع
فها أنت تبكي وهم جِيرةٌ ... فكيف يكون إذا وَدَّعوا
أتطمَعُ في العيش بعد الفراقِ ... مُحالٌ لَعَمرُك ما تطمع
لَعَمْري لقد قلتَ يومَ الفراق ... فأسمعتَ صوتَك مَن يسمع
فما عرَّجوا حين ناديتَهم ... وقد قتلوك وما ودَّعوا
ألا إنَّ بالغَور لي حاجةً ... تؤرِّق عيني فما تَهْجَع
إذا الليلُ ألبَسَني ثوبَه ... تقلَّب فيهِ فتًى مُوجَع
لقد زادني طَرَباً بالعراقِ ... بوارقُ غوريَّةٌ تلمع
إلى جعفرٍ بلغت هِمَّتي ... فأيُّ فتًى نحوه تَنْزعُ
وما لامرئٍ دونه مَطلَبٌ ... وما لامرئٍ دونه مَقْنَعُ
يريد الملوكُ مدى جعفرٍ ... وهم يَجمعون ولا يَجمع
وكيف ينالون غاياتِهِ ... وما يَصنعون كما يَصنع
وليس بأوسعِهِم في الغنى ... ولكنَّ معروفَه أوسع
يَلوذُ الملوكُ بأبوابه ... إذا نابَها الحَدَثُ المُفْظِعُ
إذا همَّ بالأمر لم يَثْنِهِ ... هُجوعٌ[2] ولا شادِنٌ أفرع

---

(١) في الديوان ص٣٣٥:

إنما أنت من سليم ... كواو ألحقت ...

(٢) في (خ): هجون، والمثبت من الأوراق ٨٣ (أخبار الشعراء المحدثين)، وتاريخ دمشق ٣/ ٣١ (مخطوط دار البشير)، ومختصره ٤/ ٤٠٥، والشعر والشعراء ٢/ ٨٨٣. والقصيدة طويلة ذكر بعضها ابن قتيبة في الشعر والشعراء، والأصبهاني في الأغاني ١٨/ ٢٢٤-٢٢٥، والبغدادي في الخزانة ١/ ٢٩٦-٢٩٧.

وللجود في كفِّه مَطْلَبٌ ... وللسِّرِّ في صدره مَوْضِع
كأنَّ أبا الفضلِ بدرُ الدُّجى ... لعَشْرٍ خلَتْ بعدها أربَعُ

من أبيات.

ومنهم **منصور بنُ سلمة** [بنِ][1] الزِّبْرِقان النَّمَري.

قدم بغدادَ ومدح هارون، فلم يمدح من الخلفاء غيرَه، فمن مدحه له: [من البسيط]

أيُّ امرئٍ بات من هارونَ في سَخَطٍ ... فليس بالصَّلوات الخمسِ يَنتفعُ
إنَّ المكارم والمعروفَ أوديةٌ ... أحلَّك اللهُ منها حيث تجتمع
إذا رَفعتَ امرأً فاللهُ يرفعه ... ومَن وَضعتَ من الأقوام يَتَّضِع
نفسي فداؤك والأبطالُ مُعْلِمةٌ ... يومَ الوغى والمنايا بينهمْ شُرَع[2]

من أبيات.

وقد أجاز العتَّابيُّ هذه الأبياتَ بأبياتٍ يمدح فيها هارون، منها:

إنْ أَخلف الغيثُ لم تُخلِف مخائلُه ... أو ضاق أمر ذكرناهُ فيَتَّسعُ

ثم التقى النَّمريُّ العتابيَّ وهو قَلِق، فقال: ما الذي بك؟ فقال: تركتُ امرأتي تُطْلَق وقد تعسَّرت الولادةُ عليها، فقال له: أخطأتَ الطريق، قال: وكيف؟ قال: اكتب على فَرْجها: هارون، وقد وضعت، ألست القائلَ:

أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتَّسع؟

وبلغ هارون، فأمر بقتله، فمات قبل ذلك[3].

ومنهم: مسلمُ بن الوليد، أبو الوليد الأنصاريّ، مولى سعدِ بن عبادة.

أوَّل ما لقي هارونَ أنشده: [من الطويل]

أديرا عليَّ الكأسَ لا تشربا قبلي ... ولا تطلُبا من عند قاتلتي ذَحْلي[4]

---

(١) ما بين حاصرتين من الأغاني ١٣/ ١٤٠، وتاريخ بغداد ١٥/ ٧٣.
(٢) في الأغاني ١٣/ ١٤٧، وتاريخ بغداد ١٥/ ٧٦: قرع.
(٣) القصة في الأغاني ١٣/ ١٤٨، وتاريخ بغداد ١٥/ ٧٧ أطول مما هنا.
(٤) الذحل: طلب الدم. شرح ديوان صريع الغواني ص٣٣.

فما حَزَني أنِّي[١] أموت صَبابَةً ولكن على مَن لا يحلُّ له قتلي
فَدَيتُ التي صدَّت وقالت لتِرْبها دعيه الثُّريَّا منه أقربُ من وَصْلي

إلى أن قال:

هل العيشُ إلَّا أن تَروحَ مع الصِّبا وتغدو صَريعَ الكأسِ والأعيُن النُّجْلِ

فاستحسنها هارونُ وأعطاه لكلِّ بيت ألفَ دينار، وقال: أنت صَريعُ الغَواني.

وقد عارض صاحبُ «العِقد»[٢] هذه الأبياتَ فقال:

أتقتُلُني ظُلماً وتَجْحَدني قتلي وقد قام من عينيك لي شاهدا عَدْلِ
أغارَ على قلبي فلمَّا أتيتُه أُطالبُه فيه أَغارَ على عقلي
بنفسي التي ضنَّت بردِّ سَلامها ولو سألتْ روحي أَبَحْتُ لها قَتْلي
إذا جئتُها صَدَّت حَياءً بوَجْهها وتَهْجُرني هَجْراً ألذَّ من الوَصْل
وإن حَكَمَتْ جارت عليَّ بحُكْمها ولكنَّ ذاك الجَورَ أحلى[٣] من العَدْل
كتمتُ الهوى جُهدي فأَظهره الأسى بماء البُكا هذا يَخُطُّ وذا يُملي
وأحببتُ فيها العَذْلَ حبًّا لذِكرها فلا شيءَ أشهى في فؤادي من العَذْلِ
أقول لقلبي كلَّما ضامَه الهوى إذا ما أبيتَ العزَّ فاصبر على الذُّلِّ
وجدتُ الهوى نَصْلاً من الموت مُغْمَداً فجرَّدتُه ثم اتّكأتُ على النَّصل
فإن كنتُ مقتولاً على غير ريبةٍ فإنِّي الذي عَرَّضتُ نفسي إلى القتل[٤]

وقال أبو بكرٍ محمَّد بن الأنباري: ثلاثةُ أبياتٍ لصَريع الغَواني أَحسنَ فيها وزاد، وهي أمدحُ بيت، وأهجى بيت، وأرثَى بيت، فالمدح: [من البسيط]

يجود بالنفْس إذ ضَنَّ البخيلُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

والهجاء: [من الكامل]

قَبُحَت مَناظرُه فحين خَبَرتُه حَسُنت مَناظِرُه لقُبْحِ المَخْبَرِ

(١) في (خ): أن، ولا يستقيم بها الوزن.
(٢) ٥/٣٩٨.
(٣) في العقد الفريد: أشهى.
(٤) في العقد الفريد: فأنت التي عرضت نفسي للقتل.

والرِّثاء: [من الطويل]

أرادوا[١] ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه فطِيبُ ترابِ القبرِ دلَّ على القبرِ

أوَّل ما بدأ الشَّيب بالمأمون كان يتمثَّل بقول صريعِ الغواني، وهو قولُه: [من البسيط]

نام العواذلُ واستَكفَيْنَ لائمتي وقد كَفاهنَّ نهضُ البيض في السُّودِ
أمَّا الشبابُ فمَفْقودٌ له خَلَفٌ والشَّيبُ يذهب موجوداً بمفقود[٢]

وقال الفضل بنُ الربيع: دخل على الرشيد أعرابيٌّ والأمين عن يمينه والمأمونُ عن يساره، فأنشده شعراً حَسَناً، فكأنَّه أنكره أن يكونَ نظمَه، فقال: هذان ولداي، فأَنشدَ فيهما بديهةً البيتين: [من الطويل]

بنيتَ بعبد اللهِ بعد محمَّد ذُرى قُبَّة الإسلامِ فاخضرَّ عودُها
هما طُنُباها بارك اللهُ فيهما وأنت أميرَ المؤمنين عمودُها

فقال له: احتكم، فقال: الهُنَيدة[٣]، قال: هي لك، وزاده مئةَ ألفِ درهم.

وقال أبو محمَّد اليزيدي[٤]: دخلتُ على الرشيد، وإذا به ينظر في ورقةٍ فيها مكتوبٌ بالذهب، فلمَّا رآني تبسَّم، فقلت: أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين، فائدة؟ قال: نعم، وجدت هذين البيتين في بعض خزائنِ بني أمية، فاستحسنتهما، وأضفتُ إليهما بيتاً ثالثاً، وأنشدني يقول: [من الطويل]

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجةٍ فدعْهُ[٥] لأخرى ينفتحْ لك بابُها
فإنَّ قُراب البَطْن يكفيك مَلؤه ويكفيك سَوءاتِ الأمور اجتنابُها
فلا تكُ مِبذالاً لعِرضك واجتنبْ ركوبَ المعاصي يجتنبْك عقابها[٦]

---

(١) في (خ): أراد، والمثبت من الديوان ص٣٢٠، والبيتان الآخران في ص٣٢١، ١٦٤.

(٢) في الديوان ص٣١١: مفقوداً بمفقود.

(٣) الهنيدة: اسم للمئة من الإبل. القاموس المحيط (هند). والقصة في طبقات الشعراء لابن المعتز ص١٤٩، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٦٣، والعقد الفريد ١/ ٣١٠. وقد سماه ابن المعتز أبا الغول.

(٤) كذا في بهجة المجالس ٣/ ٣١٠، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٥: الزيدي.

(٥) في (خ): فدع. وهو خطأ.

(٦) اضطربت المصادر في نسبة البيتين الأولين، انظر إضافة إلى المرجعين السابقين كتاب الحيوان١/ ٣٨٢-٣٨٣، وعيون الأخبار ٢/ ١٨٣-١٨٤، وحماسة البحتري ص٣٧٥.

ومدحه داود بنُ رَزين فقال: [من الطويل]

بهارونَ لاح البدرُ في كلِّ بلدة ... وقام به في عَدْل سيرته النَّهْجُ
إمامٌ بذات اللهِ أصبح شُغْلُه ... وأكثرُ ما يُعنَى به الغزوُ والحجُّ
وإنَّ أميرَ المؤمنين بفضله[١] ... يُنيل الذي يرجوه أضعافَ ما يرجو

وغنِّي بين يدي أميرِ المؤمنين يوماً بهذا الشِّعر: [من الطويل]

ألا هل إلى شمِّ الخُزَامى[٢] ونظرةٍ ... إلى قَرْقَرى[٣] قبل المماتِ سبيلُ
ويا أَثَلاتِ[٤] القاع من بَطْن تُوضِحٍ[٥] ... حَنيني إلى أَطلالِكُنَّ طويل
ويا أَثلات القاعِ قد ملَّ صُحبتي ... رفيقي[٦] فهل في ظِلِّكنَّ مَقيل
أريد رجوعاً نحوكم فيصدُّني ... إذا رُمتُه دَينٌ عليَّ ثَقيلُ
أُحدِّث نفسي عندكمْ فيَصُدُّني ... غَرامٌ وحُزْنٌ في الفؤاد دَخيل[٧]

فبكى هارونُ بكاء شديداً، وقال: لمن هذا الشِّعر؟ فقيل: ليحيى بنِ طالب[٨] الحنفيِّ اليَماميِّ[٩]، فقال: وأين هو؟ أحيٌّ أم ميِّت؟ فقال بعض الحاضرين: هو حيٌّ كميِّت، هرب من اليمامة لدَينٍ عليه إلى الرَّي، فهو فيها بأسوأ حال، فكتب الرشيدُ إلى عامل اليمامةِ بقضاء دَينه كائناً ما كان، وإلى عامل الرَّيِّ أن يدفعَ إليه عشرةَ آلاف درهمٍ، ويحملَه على البريد إلى اليمامة، فلمَّا عاد إلى اليمامة، قال هارون لجلسائه: قد

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٤، والمنتظم ٨/ ٣٢٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٦٣: وإن أمين الله هارون بالندى.
(٢) الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة. القاموس المحيط (خزم).
(٣) أرض باليمامة. معجم البلدان.
(٤) جمع أثلة، وهو شجر.
(٥) من قرى قرقرى. معجم البلدان.
(٦) كذا في (خ)، وفي الأغاني ٢٤/ ١٣٥: وقوفي، وفي الأمالي ١/ ١٢٣، ومصارع العشاق ١/ ٢٩٤، ومعجم البلدان ٤/ ٣٢٧: مسيري، وفي الفرج بعد الشدة ٤/ ٢٦٩: صحابي، وفي الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٢٦: ثوائي.
(٧) روايته في المصادر:
أحدث عنك النفس أن لست راجعاً ... إليك فحزني في الفؤاد دخيل
(٨) في (خ): أبي طالب، والمثبت من المصادر.
(٩) في (خ): اليماني، والمثبت من المصادر.

قضينا دَينَ اليمامي، ووصلناه وأَعدناه إلى وطنه من غير سعيٍ منه في ذلك[١].

وقال صَدقة بنُ أبي صَدقة: دعانا الرشيدُ يوماً، فدخلنا، [فأشار] إلى [ابن][٢] جامعٍ وقال: غنِّ، فغنَّى: [من الكامل]

قِفْ بالمنازل ساعةً فتأمَّلِ ... هل بالدِّيار لرائدٍ من منزلِ
أم لا ففيمَ توقُّفي وتحَيُّري ... وَسْطَ الدِّيار كأنَّني لم أعقل
ما بالدِّيار من البِلى ولقد أرى ... أنْ سوف يَحْمِلُني البِلى[٣] في مَحْمِل
وأحقُّ مَن يبكي بكلِّ محلَّةٍ ... عَرَضَت له في منزلٍ للمُعْول[٤]
عانٍ بكلِّ حمامةٍ سجعت له ... وغَمامةٍ بَرَقت بنَوء الأعْزَلِ
يبكي فتفضحه الدُّموع وعينُه ... ما عاش دافقةٌ كفَيْض الجَدْوَل

فلم يطرب الرشيد، فقال خادم السِّتارة للمغنِّين: غنُّوه، فغنَّوه، فلم يطرب، فقال لي الخادم: غنِّ، فغنَّيته، فطرب.

ثم أمر بإدخالي عليه في السِّتارة، فأُدخلت عليه، وكلَّما غنَّيت طرب، ويقول: أحسنتَ يا صدقة، فلمَّا رأيت ما منحني اللهُ تعالى من استحسانه، قلت: يا أميرَ المؤمنين، لهذا الصوتِ خبرٌ عجيب، ألا أحدِّثك به؟ قال: بلى، فقال: كنت عبداً لآل الزُّبير، خيَّاطاً أخيط القميصَ بدرهمين والسَّراويلَ بدرهم، وكان لسيِّدي عليَّ كلَّ يوم درهمان، فكنت أؤدِّيهما وأخرج إلى العَقيق، إذا بجارية سوداءَ، على رقبتها جرَّةٌ تريد أن تملأَها من العقيق، وهي تغنِّي بهذا الصوتِ أحسنَ غناء، فأخذني من الطَّرب ما لا أقدر أن أصفَه، وقلت لها: جُعلتُ فِداك، ألقي عليَّ هذا الصوت، فقالت: وصاحبِ القبر لا أُلقيه إلَّا بدرهمين، قلت: هذان درهمان، ودفعتهما إليها، فحَدَرت الجرَّةَ عن كتفها ووضعتْها على الأرض، واندفعت تغنِّي وتوقع [على] الجرَّة حتى أخذته منها، وقامت وملأت الجرَّةَ وانصرفت.

---

(١) كذا في الفرج بعد الشدة، وفي سائر المصادر أنه توفي قبل قضاء دينه.

(٢) ما بين حاصرتين من الفرج بعد الشدة ٢/ ٣٩٧، والقصة فيه بسياقة أخرى.

(٣) في الفرج بعد الشدة: الهوى.

(٤) في (خ): للمعزل. والمعول: من يرفع صوته بالعويل والصياح.

فحين غابت أُنسيته كأن لم أكن أسمعه قطّ، فبقيت كئيباً حزيناً وعُدت إلى المدينة. فقال لي سيِّدي: هاتِ ضَريبتك، فتلَجْلَج لساني، فقلت: أَصدُقُك الحديث، كان من خبري كذا وكذا، فبَطَحني وضربني مئةَ مِقرَعة، وحلق رأسي ولحيتي، ومنعني القُوت، ولم يكن ذلك عليَّ أشدَّ من ذهاب الصوتِ عني، فلمَّا أصبحتُ خرجتُ في طَلَبها، وإذا بها قد أَقبلت، فلمَّا رأت ما بي من الوَلَه قالت: مالك، أنسيتَ الصوت؟ قلت: نعم وضُربت مئةَ مقرعة، وحُلق رأسي ولحيتي، ومُنعت القوت. فقالت: دعْ عنك هذا، فواللهِ لا سمَّعتُه لك إلَّا بدرهمين، فرَهَنْتُ مِقَصِّي على درهمين ودفعتهما إليها، فأَخَذَتهما ووضعتهما في فيها واندفعت تغنِّي، فذكرتُه، فقلت: قد ذكرتُه رُدِّي عليَّ الدِّرهمين، فقالت: أيْ أحمق، واللهِ لئن لم أُعِدْه عليك مئةَ مرة لا حفظتَه أبداً، فردَّدته عليَّ مئة مرة، فحفظتُه وأتيت إلى دار سيِّدي، فقال: هاتِ الضَّريبة، فتوقَّفت، فقال: ما كفاك ما جرى عليك أمس، فاندفعت أغنِّي بالصوت، فقال: ويحك وأنت تُحسن مثلَ هذا، قد أسقطتُ عنك ضريبتَك، ورددتُ عليك قوتَك، وأَحسنَ إليّ.

فعجب هارونُ من ذلك، وأطلق للمغنِّين لكلِّ واحد ألفَ دينار، وكان فيهم إبراهيمُ وابنه إسحاقُ المَوْصِليّ وإسماعيلُ بن جامع وسليمانُ بن سلام[1]، وأعطاني ألفَي دينار، وقال: ألفٌ واسيتك بها، والألفُ الأخرى لضربك مئةَ مقرعة، لكلِّ مقرعة عشرةُ دنانير.

جفا الرشيدُ العَتَّابيَّ، فكتب إليه: [من الطويل]

أَخِضْني المقامَ الغَمْرَ إن كان غرَّني ... سَنا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمانِ
أَتَتْرُكُني جَدْبَ المَعيشَةِ مُقْفِراً[2] ... وكفَّاك من ماء النَّدى تَكِفَان
وتَجْعَلُني سَهْمَ المَطامعِ بعدما ... بَلَلْت يديَّ بالنَّدى وبَناني

فرضي عنه.

ودخل ابنُ أبي حَفْص الشِّطْرنجي ـ و اسمهُ عمر بن عبدِ العزيز[3] -على هارون

(١) في الفرج بعد الشدة: مسلم بن سلام.
(٢) في الأغاني ١٣/ ١١٣، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٨١: مقتراً.
(٣) هو اسم أبيه أبي حفص. انظر الأغاني ٢٢/ ٤٤.

وعنده جماعةٌ من الشعراء، فقال: مَن أتى ببيتٍ في خاطري فله عشرةُ آلاف درهم، فقال ابنُ أبي حفصٍ: [من الخفيف]

مَـجْـلـسٌ يـألَـفُ الـمَـسَـرَّة والـشَّـو ... ـقَ مُـحِـبٌّ رَيْـحـانُـه ذِكـراكِ[1]

فقال: أحسنتَ والله، يا فضلُ أَعطه عشرةَ آلاف درهم، فقال ابنُ أبي حفص: قد حضر بيتٌ آخَر، قال: قل، فقلت:

كـلَّـمـا دارت الـزُّجـاجـة زادَتْـ ... ـه حَـنـيـنـاً ولَـوْعَـةً فـبَـكـاكِ

فقال: أحسنتَ والله، يا فضلُ أَعطِه عشرة آلافِ درهمٍ أخرى، فقال ابنُ أبي حفص: قد حضر بيتٌ آخر، فقال له: قل، فقلت:

لـم يَـنَـلْـكِ الـمُـنـى بـأنْ تَـحْـضُـريـنـي ... وتَـجـافَـتْ أُمـنـيَّـتـي عـن سـواكِ

فقال: أَعطِه عشرةَ آلاف أخرى، ثم قال هارون: قد حضر بيتٌ رابع، فأنشد:

فـتـمـنَّـيـتُ أن يُـغـشِّـيَـنـي اللهُ نـعـاسـاً لـعـلَّ عَـيـنـي تـراكِ

فقال ابنُ أبي حفص: يا أميرَ المؤمنين، أنت واللهِ أشعرُ مني، فخذ الجائزة، فقال: خذ جائزتك.

وغنَّى بين يدي الرشيدِ إسحاقُ بن إبراهيمَ الموصليُّ وهو يقول[2]: [من الطويل]

ألـم تـرَ أنَّ الـشَّـمـسَ كـانـت مَـريـضـةً ... فـلـمَّـا أتـى هـارونُ أشـرق نُـورُهـا

تـلـبَّـسـت الـدنـيـا جَـمـالاً بـمُـلْـكـه ... فـهـارونُ والـيـهـا ويـحـيـى وزيـرهـا

فأعطاه مئَة ألف درهم، وأعطاه يحيى بنُ خالدٍ خمسين ألفَ درهم.

وقال الأصمعيّ: قال الرشيدُ لإسحاق: أَنشِدني من شعرك، فأَنشده: [من الطويل]

وآمِـرَةٍ بـالـبُـخـل قـلـت لـهـا اقـصُـري ... فـذلـك شـيءٌ مـا إلـيـه سـبـيـلُ

أرى الـنـاسَ خُـلَّانَ الـجَـوَاد ولا أرى ... بـخـيـلاً لـه فـي الـعـالَـمـيـن خـلـيـل

(١) روايته في تاريخ بغداد ١٦/ ١٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٢: السرور إليه لمحب ريحانه ذكراك ولم يذكر البيت صاحب الأغاني.

(٢) في الأغاني ٥/ ٢٤٢ أن المغني والقائل هو إبراهيم الموصلي. ونسب البيتين له أيضاً الطبري ٨/ ٢٣٣، وابن الأثير ٦/ ١٠٨. وتردد ابن خلكان في وفيات الأعيان ٦/ ٢٢١ في نسبتهما له أو لابنه إسحاق.

عطائي عطاءُ المكثِرين تجمُّلاً ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقرَ أو أُحرَمُ الغنى ورأيُ أميرِ المؤمنين جميل[١]

فطرب الرشيدُ وقال له: لله درُّ هذه الأبياتِ ما أحسنَ أصولَها، وأوقعَ نصولَها، وأجوَد فصولَها، وأقلَّ فضولها. وأمر له بعشرين ألفِ درهم، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، كلامُك واللهِ أحسنُ من شعري. فأمر له بمئة ألفِ درهم، قال الأصمعي: فعلمت أنَّه أَصيدُ لدراهمهم مني.

ودخل على الرشيد العباسُ بن الأَحْنَف، فقال له: أَنشدني أرقَّ بيتٍ قالت العرب، فقال: قد أكثر الناسُ في بيت جَميلٍ حيث قال: [من الطويل]

أَلَا ليتني أعمى أصمُّ تَقودُني بُثينةُ لا يَخفى عليَّ كلامُها[٢]

فقال له هارون: أنت والله أرقُّ حيث تقول: [من البسيط]

[طاف الهوى في عباد اللهِ كلِّهم حتى إذا مرَّ بي من بينهمْ وَقَفا

قال العباس: أنت يا أميرَ المؤمنين أَرقُّ قولاً منِّي ومنه حيث تقول]: [من الوافر]

أما يَكفيكِ أنك تَملكيني وأنَّ الناس كلَّهمُ عَبيدي
وأنَّكِ لو قطعتِ يدي ورجلي لَقلتُ من الهوى أحسنتِ زيدي

فأمر له بمئة ألفِ درهم[٣].

وكانت عِنانُ جاريةُ النَّاطِفيِّ أديبةً شاعرة حاذقة ظريفة، عارفةً بأصوات الغناء، استعرضها الرشيدُ ثم لها عن شرائها، ثم جلس ليلةً معنا، فغنَّاه بعضُ مَن حضر أبياتَ جرير: [من الكامل]

إنَّ الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا وَشَلاً بعينِكَ لا يزال مَعينا
غيَّضن[٤] من عَبَراتهنَّ وقلْنَ لي ماذا لقيتَ من الهوى ولَقِينا

(١) الأغاني ٥/ ٣٢٢، وتاريخ بغداد ١٦/ ٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٧.

(٢) ديوانه ص١٩٦.

(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ١٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩: فأعجب بقوله وضحك، وليس فيهما: فأمر له... وما بين حاصرتين منهما.

(٤) في (خ): قبضن، والمثبت من الديوان ١/ ٣٨٦، والعقد الفريد ٦/ ٣٤. والوشل: الماء السائل شيئاً بعد شيء، والمعين: الظاهر. قاله شارح الديوان.

فطرب وقال: أيُّكم يُجيزه بمثله وله عشرةُ آلاف درهم؟ فما أَجازه أحد، وكان على رأسه خادمٌ واقف، فدخل على عنانَ فأخبرها، فقالت في الحال:

هيَّجتَ بالقول الذي قد قلتَه ... داءً بقلبي لا يزال دَفينا
قد أَينَعَتْ ثَمرَاتُه وتضاعفَتْ ... وسُقينَ من ماء الهوى فرَوينا
كذَبَ الذين تقوَّلوا يا سيِّدي ... إنَّ القلوبَ إذا هَوِينَ هوينا

فقال: قد أجازه شخص، وأَنشده الأبيات، فقال: وَيْحَك لمن هذا؟ قال: لعِنان، فبعث فاشتراها في الحال بمئة ألفِ درهم[1].

وكان الرشيدُ قد هجر عنان، فكتبت إليه تقول: [من الخفيف]

كنتُ في ظلِّ نعمةٍ بهواكا ... آمِناً منك ما أخاف جَفاكا
فسعى بيننا الوُشاةُ فأقْرَرْ ... تَ عيون الوشاةِ بي فهَناكا
ولَعَمري بغير ما كان أولى ... بك في الحقِّ ما جُعلتُ فداكا

فرضي عنها.

ومن شِعر الرشيد: [من السريع]

ملكتُ مَن أصبح لي مالكاً ... لكنَّه في مُلْكه ظالمُ
لو شئت لاجتاحَتْه[2] لي قُدرةٌ ... لكنَّ حكمَ الحبِّ لي لازم
أحببتُه من بين هذا الورى ... وهو بحبِّي عارفٌ عالم

ودخل أبو العَتاهِية على الرشيد، فقال له: يا أبا العتاهية، أنشِدني، فأنشده: [من البسيط]

لا تأمَنِ الموتَ في طرفٍ وفي نَفَسِ ... ولو تستَّرتَ[3] بالحجَّاب والحَرَسِ
واعلَمْ بأنَّ سهام الموت قاصِدَةٌ ... لكلِّ مُدَّرِع منَّا و مُتَّرِس
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مسالكَها ... إنَّ السفينة لا تجري على اليَبَس

(١) في العقد الفريد ٦/ ٥٨: فاشتراها منه بثلاثين ألفاً.
(٢) الديارات للشابشتي ص٢٢٦: لاستاقته. وهي أنسب في المعنى.
(٣) في الديوان ص١٩٤: تمنعت.

فبكى هارونُ وأدخل رأسَه في قميصه.

ودخل عليه يوماً فأنشده: [من البسيط]

أفنيتَ عُمْرك إدباراً وإقبالاً ... تَبغي البَنين وتبغي الأهلَ والمالا
لِلموت أنت فكن ما عشتَ مُلْتَمِساً ... من حيلةٍ يا أخي إنْ كنت محتالا[1]
ولستَ حقًّا بهَوْل الموتِ مُنْقَلباً ... حتى تُعاينَ بعد الموتِ أهوالا

[وقد ذكر له الطبري صاحب التاريخ حكايات وواقعات، منها ما حكاه[2] أن العباس بن محمد أهدى له غالية وكان عنده ابن أبي مريم الذي قال له لما قرأ الرشيد: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس: ٢٢] فقال ابن مريم: ما أدري والله! وكان خَصيصاً به، فلما قدّم العباس بن محمد الغالية ـ وكانت في بَرْنِيَّة من فضَّة ـ فقال ابن أبي مريم: يا أمير المؤمنين هَبْها لي، فقال: خذها، فاغتاظ العباس وقال: ويلك، عَمَدتَ إلى شيء منعتُه نفسي، وخَصَصْتُ به أمير المؤمنين فأخذتَه؟! فقال ابن أبي مريم: أمُّه فاعلة إن دَهَن به إلا استَه، ثم وثب فألقى قميصه على رأسه، وأدخل يده في البَرْنِيَّة، وجعل يُخرج منها ويطلي استَه وأرفاغه ومثانته ويُسوِّد بها وجهه، والرشيد يضحك، ثم قال لغلامه: اذهب بهذه البرنية إلى فلانة امرأته، وقل لها: ادهني بها حِرَك إلى أن آتي فأفعل وأصنع، وذكر النون. ثم ذكر في آخر هذه الحكاية أن الرشيد وصل ابن أبي مريم بمئة ألف درهم.

ومنها ما حكاه ابن أبي مريم هذا قال: أراد الرشيد أن يشرب دواء فقلتُ: هل لك أن تجعلني غداً حاجبك وكل شيء أكسبه بيني وبينك؟ قال: نعم. فأرسل هارون إلى الحاجب: الزم غداً منزلك فإني وَلَّيتُ حجابتي اليوم ابن أبي مريم، وشرب الدواء، وجلس ابن أبي مريم على الباب، وجاء رسول أم جعفر ورسول يحيى بن خالد ورسول جعفر والفضل بن يحيى، فأخبرهم أن هارون ولّاه حاجباً، فأرسلوا إليه بأموال وصِلات بلغت ستين ألف دينار، فلما فرغ الرشيد من شرب الدواء استدعاه وقال: ما

---

(١) روايته في الديوان ص٣٠٢:

لِلموت غول فكن ما عشت ملتمساً ... من غوله حيلة إن كنت محتالاً

(٢) في تاريخه ٨/ ٣٤٩ـ٣٥٠.

صنعتَ في يومك؟ [قال: يا سيدي] حصل لي ستون ألف دينار، فقال: وأين حاصلي؟ قال: مَعْزول، قال: قد سَّوغناك الجميع[١].

ومنها أن الرشيد] مرض مرضاً شديداً، فعالجه الأطبَّاء، فلم يُفِق من علَّته، فوُصف له رجلٌ بالهند يقال له: مَنْكه، وكان من أحذق الأطبَّاء، مع دينٍ وعبادة وفلسفة، فبعث الرشيدُ من جاء به إليه، فعالجه فبرئ، فأقام عنده مدَّة، وأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كثيرة، فخرج يمشي يوماً في بغداد، وإذا برجلٍ قد بسط كساءه على الأرض وألقى عليه عقاقيرَ كثيرة، وقام يصف دواءً عنده مَعْجوناً ويقول: هذا دواءٌ للحمَّى الدائمة والرِّبْع والغِبِّ والمُثَلَّثة[٢]، ولوَجَع الظَّهر والرُّكَب والمفاصل، والبواسير، ووجعِ العينين والبطن، والصُّداع، وقطرِ البول، والفالج، والارتعاش.

فلم يدعْ علَّة في البدن إلَّا ذكر أنَّ في ذلك الدواءِ شفاءً منها، فقال مَنكَه لتَرجُمانه: ما يقول هذا؟ فترجم له ما سمع، فتبسَّم مَنْكَه وقال: على [كلٍّ][٣] حال ملكُ العرب جاهل؛ وذاك لأنَّه إن كان الأمرُ على ما قال هذا، فلمَ حَمَلني من بلادي، وقطعني عن أهلي، وتكلَّف لي مؤنةً، وهو يجد هذا نُصبَ عينيه؟! فإنْ كان الأمرُ بخلاف هذا، فلمَ لا يقتله؟! لأنَّ الشريعة قد أباحت دمه ودمَ مَن أشبهه، لأنَّه إذا قتله، فإنَّما هي نفسٌ يحيا بقتلها خلقٌ كثير، فإنَّه إن تُرك بهذا الجهل قتل كلَّ يومٍ نفساً أو اثنين أو ثلاثةً أو أربعة، وهذا فسادٌ في التدبير ووَهْنٌ في المملكة.

وسأل الرشيدُ عبدَ الله بن مصعبٍ الزُّبيريَّ[٤] عن الذين طعنوا على عثمانَ رضوان الله عليه، فقال له: طعن عليه ناسٌ وكان معه ناس، فأمَّا الذين طعنوا عليه فتفرَّقوا، فمنهم أنواعُ الشِّيع والخوارج، وأما الذين كانوا معه، فأهلُ الجماعةِ إلى اليوم، فقال له: ما أحتاج أن أسألَ عنها أحداً بعدك. وسأله عن منزلة أبي بكرٍ وعمرَ رضوانُ الله عليهما كيف كانت من رسول اللهِ ﷺ، فقال: كانت منزلتُهما في حياته مثلَ منزلتهما في مماته[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٠ـ٣٥١ وما بين حاصرتين منه، والقصة الآتية فيه ٣٥٢.

(٢) الحمى الربع: أن يُحَمَّ يوماً ويُتركَ يومين لا يحم ويحم في اليوم الرابع. الغب: أن تأخذ يوماً وتدع آخر. والمثلثة: التي تقلع يومين وتعود في الثالث. لسان العرب (ربع) (غبب) ومعجم متن اللغة (ثلث).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، والخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٢.

(٤) في (خ): اليزيدي، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٣.

(٥) فقال: كفيتني ما أحتاج إليه. كذا في تاريخ الطبري.

وقال العباسُ بن الحسن بنِ عبد الله بن العبَّاس بن [عليٍّ بن] أبي طالب: قال لي الرشيد: أراك تُكثر من ذِكر يَنْبُع، فصِفْها لي وأَوجِزْ، فقلت: [بكلام أو بشعر؟ فقال:][1] بكلامٍ وبشعر، فقلت: جِدَتُها[2] في أصل عِذْقِها، وعِذْقُها مُسَرَّح بانِها[3]، فتبسَّم، فقلت: [من البسيط]

ياواديَالقصرنِعْمَ[القصر][4]والوادي ... في منزل حاضرٍ إن شئتَ أو بادي

تُرفَى[5] قَراقيرُه[6] والعِيْسُ واقِفَةٌ ... والضَّبُّ والنُّون والملَّاح والحادي

[حديث الرجل الذي ادَّعى النبوة:]

حكى محمَّد بنُ غياث قال:][7] رأيت بالرقَّة رجلاً يدَّعي النبوَّة، فأُحضر إلى هارون، فقال له: أنت نبيّ؟ قال: نعم، فقال الفضل بنُ الربيع: ما علامة نُبوَّتك؟ قال: أنَّك ولد زِنى، فضربه الفضلُ بقائم سيفِه فشجَّه، فرفع رأسَه إلى السماء وقال: ما فعلتَ معي خيراً حيث أرسلتَني إلى أولاد الزِّنى. فضحك هارونُ واستتابه وأَطلقه.

[حكايةٌ ذكرها القاضي التنوخيُّ في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»][8]

وقال: أمر هارونُ بعضَ خَدَمه وقال: إذا كان الليل فصِر إلى الحُجْرَة الفلانية، فافتحها وخذ مَن فيها فأتِ به موضعَ كذا وكذا من الصحراء، فإنَّ ثَمَّ قَليباً مَحفوراً،

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٣٥٦/ ٣٥٧، وهذا الخبر والذي قبله ليس في (ب).

(٢) في (خ): حوتها. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري: شأنها. والبان ضرب من الشجر.

(٤) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٥) رفأ السفينة: أدناها من الشط. القاموس المحيط (رفأ).

(٦) في (خ): جواريه، والمثبت من تاريخ الطبري، والأغاني ٢٠/ ٩١، وديوان المعاني ٢/ ١٣٨، ومعجم البلدان (قصر عيسى)، والقراقير: السفن الطويلة، وفي كتاب الحيوان ٦/ ٩٩: ترى به السفن كالظلمان واقفة، وفي عيون الأخبار ١/ ٢١٧: ترفا به السفن والظلمان واقفة، وفي الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٧٤: يرفى بها السفن والظمآن واقفة. والظُّلمان: جمع ظليم، وهو الذكر من النعام. واختلفت المصادر في نسبة البيتين بين الخليل بن أحمد وأبي المنهال بن أبي عيينة.

(٧) في (خ): وقال محمد بن عتاب، والمثبت من (ب).

(٨) ١/ ٢٧٠ . وهذه الحكاية والتي بعدها ليستا في (خ).

فارمِ به فيه وطُمَّه بالتراب، وليكن معك فلانٌ الحاجب، فجاء الخادمُ ففتح الحُجرة، وإذا فيها غلامٌ كأنه الشمسُ الطالعة، فجذَبَه جَذْباً عَنيفاً، فقال له: اتَّقِ اللهَ في دمي؛ فإني ابنُ رسولِ الله ﷺ، فاللهَ اللهَ أن تلقى الله بدمي. فلم يلتفت إليه، فأخرجه إلى الصَّحراء ومعه الحاجب، وجاء به إلى القَليب المحفور، فلمَّا أيقن الغلامُ بالتلف قال: دعْني أصلِّ ركعتين، قال: صلِّ، فصلَّى ومجَّد وقال: يا خفيَّ اللُّطف، أَغثني في وقتي هذا والْطُف بي بلُطفك الخَفيّ.

قال الخادم: فو اللهِ ما استتمَّ حتى هبَّت ريحٌ عاصف أَلقتنا على وجوهنا، وكدنا نَتْلَف، واشتَغَلْنا بحالنا عن الغلام، ثم سكنت الريحُ وظهرت الكواكب، وطلبنا الغلامَ فلم نجده، ورأينا قيودَه مُلْقاة، فقال الحاجب: هلكنا، سيقع له أنَّا أطلقناه، وإنْ حَلَفنا له لم يصدِّقنا، ولكنَّ الصدقَ أَنجى، فجاء الخادمُ والحاجب فدخلا على هارون، فقال: فعلتما ما أمرتكما؟ فحدَّثاه الحديث، فقال: لقد تداركه اللُّطفُ الخَفيّ، لأَجعلنَّها في مُقدِّمات دعائي.

حديث الحكماء:

قال إسحاقُ المَوْصِليّ: اجتمع عند هارونَ أربعةٌ من الحكماء: عراقي، ورومي، وهندي، ويوناني. فقال لهم: ما الدواءُ الذي لا داءَ معه؟ فقال العراقي: حَبُّ الرَّشاد الأشقر، وقال الرومي: الماء الحارّ، وقال الهندي: الإهلِيلَج[1] الأسود. فقال اليوناني - وكان أطبَّهم -: حَبُّ الرشاد يولِّد الرطوبَة في المَعدة، والماء الحارُّ يُرخيها، والإهلِيلَج الأسود يُرقِّها، ولكن الدواءَ الذي لا داء معه أن تقعدَ على الطعام وأنت تشتهيه].

ذِكر وفاة الرشيد:

[واختلفوا فيها][2] فقال الفضلُ بن الربيع: نَغِلَ[3] جسمُه من النِّقابات[4] التي كانت

(١) في (ب): الهليلج. وتقدم في الصفحة ١٥٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) أي: فسد. مختار الصحاح (نغل).

(٤) النَّقْب: قرحة تخرج في الجنب، والجَرَب، أو القطع المتفرقة منه. القاموس المحيط (نقب).

فيه، فتقطَّع ومات.

وقال الأصمعيّ: كان حارَّ المِزاج، وكان يُكثر الحركةَ في الصيف، ويُكثر من الجِماع، فنحَل جسمُه وتَلِفَ.

وقال ابن بَخْتِيشوع: كنت مع الرشيد بالرقَّة، وكنت أوَّل مَن يدخل عليه في كلِّ غَداة، فأتعرَّف حاله في ليلته، فإن كان أنكر شيئاً وَصَفَه، ويحدِّثني بحديث جواريه وما كان في ليلته، فدخلتُ عليه ذات يوم فسلَّمت عليه، فلم يكد يرفع طرفَه، ورأيته عابساً مفكِّراً مَهموماً، فوقفت بين يديه مليّاً من النَّهار وهو على تلك الحال، فلمَّا طال عليَّ [أقدمتُ عليه و][(١)] قلت: يا سيِّدي، جعلني اللهُ فداك، أَخبرْني بحالك، فإن كانت علَّةً فلعل يكون عندي دواؤها، أو من حادثٍ في بعض مَن تُحبّ، فذلك لا مَدْفَعَ له إلا بالرِّضا والتَّسليم، وإن كان من فَتْقٍ وَرَد عليك في مُلكك، فلم تَخْلُ الملوكُ من هذا، فقال: وَيْحك يا جبريل، ليس غمِّي من شيءٍ مما ذكرت، ولكن لرؤيا رأيتُها في ليلتي قد أفزعَتْني، وملأَتْ صدري رُعْباً، وأَقرَحَتْ قلبي، قلت: أَوكلُّ هذا الفكرِ لرؤيا لعلها من بخاراتٍ رديئة أو من تهاويل السَّوداء، وإنَّما هي أضغاثُ أحلام، قال: رأيت كأنِّي جالسٌ على سريري هذا في بستان، إذ بدت من تحتي ذراعٌ وكفٌّ أعرِفُهما، إلَّا أنِّي لا أفهم اسمَ صاحبهما، وفي الكفِّ تربةٌ حمراء، وقائلٌ أسمع صوته ولا أرى شخصَه يقول: هذه التُّربة التي تُدفن فيها، قلت: وأين هي؟ فقال: بطُوْس، وغابت اليدُ وانقطع الكلامُ وانتبهت. قال: فقلت له: لعلك بتَّ مفكِّراً في خراسانَ وحروبِها وانتقاضِ أمرها، فولَّد لك الخَلْطُ هذه الرؤيا. وما زلت أُسَكِّنه وأُسَلِّيه حتى سكن وانبسط، ومرَّت الأيام ونسي ونسينا [وما خطرت تلك الرؤيا لأحدٍ منا على بال].

ثم قُدِّر خروجُه إلى خراسانَ لمَّا تحرَّك رافع، فلمَّا صِرنا في بعض الطريق، ابتدأت به العلَّة، فلم تزل تتزايد حتى دخلنا طوس، فنزل في منزلٍ لحميد بن عبد الحميد[(٢)] في ضيعةٍ له تعرف بسَنَاباذ، فبينا هو يُمَرَّض في بستانٍ في ذلك القصر، إذ ذكر تلك الرؤيا، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط، فقلت: يا سيِّدي مالَك؟ قال: يا جبريل، تذكر رؤياي

(١) ما بين حاصرتين من (ب) وتاريخ الطبري ٨/ ٣٤٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٣-٣٤٤: الجنيد بن عبد الرحمن.

بالرقَّة؟ ثم رفع رأسه إلى مَسرورٍ وقال: جئني من تُربة هذا البستان، فمضى [مسرورٌ] وأتى بالتُّربة في كفِّه حاسراً عن ذراعه، فلمَّا نظر إليه قال: هذه واللهِ الذراعُ التي رأيتها في منامي، وهذه الكفُّ بعينها، وهذه التُّربة الحمراء، ما خَرَمَت شيئاً، ثم أقبل على البكاء والنَّحيب، ثم مات واللهِ بعد ثلاثةٍ ودُفن في ذلك البستان.

[وروي أنَّه رأى في المنام امرأةً وقفت عليه، وأخذت كفًّا من ترابٍ وقالت: هذه تربتُك عن قليل، فأصبح فَزِعاً، فقصَّ رؤياه على أصحابه، فهوَّنوا عليه. فبينما هو يسير يوماً، إذ نظر إلى امرأةٍ قائمة تنظر إليه، فقال: هذه واللهِ المرأةُ التي رأيت، ولو رأيتها من بين ألف امرأةٍ ما خَفِيَتْ عليّ، ثم أمرها أن تأخذَ كفًّا من تراب فتُناولَه[1]، فضربت بيدها الأرضَ وناولته، فقال: هذه واللهِ التربةُ التي رأيتها، وهذه المرأةُ بعينها. ومات هناك].

وقيل: إنَّ جبريلَ بن بختيشوع غلط عليه [في عِلَّته] في علاجٍ كان سبب منيَّته، فهمَّ الرشيد أن يفصِّلَه كما فصَّل أخا رافع، فقال له جبريل: يا أميرَ المؤمنين، أَنظرني إلى غد؛ فإنَّك ستصبح في عافية، وسقاه دواءً في الليل، فمات من ليلته [وخلص منه جبريل.

وقال الصُّولي: حدَّثني الحسين بنُ يحيى، قال: سمعت هبةَ الله بنِ إبراهيمَ بن المهدي يحدِّث عن أبيه قال:][2] أحبَّ الرشيد أن يعلمَ حقيقةَ علَّته، وعلم أنَّ [ابن] بختيشوع يكتمه، فواطأَ إنساناً من أهل طوس، وسأله أن يلاطفَ ابنَ بختيشوع، ففعل، ثم أعطى الرجلَ ماءه وقال: اذهب به إلى ابن بختيشوعَ وقل له: هذا ماءُ مريضٍ عندي، فلما رآه، قال [ابن بختيشوع] لبعض من معه: كأنه واللهِ ماءُ الرجل، ففطن الذي جاء بالماء[3]، وقال لابن بختيشوع: اتَّقِ الله، فإنَّ بيني وبين هذا الرجلِ معاملات، فإنْ كان يعيش لم أستقصِ عليه، وإن كان يموت فرغت ممَّا بيني وبينه، فقال: تريد أن أَصدُقَك؟ قال: نعم، قال: صاحب هذا الماءِ لا يعيش إلَّا أياماً. فرجع الرسولُ فأخبر هارون، وعلم ابن بختيشوع بالأمر بعد ذلك، فاختفى إلى أن مات الرَّشيد.

---

(١) في (ب): فأخذت كفًّا من تراب فناولته إياه. والمثبت من المنتظم ٩/ ٢٣٠ .

(٢) في (خ): وقال إبراهيم بن المهدي. وانظر المنتظم ٩/ ٢٣١ .

(٣) في البداية والنهاية ١٤/ ٤٦: هذا مثل ماء ذلك الرجل، ففهم صاحب القارورة من عنى به.

وقال مسرور: لمَّا سار هارونُ إلى خُراسان، مرَّ في طريقه على قصرٍ خَراب، فنزل يَستظِلُّ به، فإذا على حائطه مكتوبٌ [هذه الأبيات][1]: [من الكامل]

هل أنت مُعْتَبِرٌ بمَن خَرِبَتْ ... منه غَداةَ مضى دَساكِرُهُ[2]
وبمَن خَلَت منه أَسِرَّته ... وبمَن خَلَت منه مَنابره
وبمَن أذلَّ الدَّهرَ مَصْرَعُه ... فتَبرَّأت منه عَساكره
يا مؤثِرَ الدُّنيا للَذَّتِه ... والمُسْتَعِدَّ لمَن يُفاخِرُه
أين المَلوكُ وأين جُندُهمُ ... صاروا مَصيراً أنت صائره
نَلْ ما بدا لك أن تَنالَ من الدُّنيا فإنَّ الموتَ آخِرُه

فبكى وانكسر وقال: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] فمات بعد أيَّام.

[وقال الهيثم:][3] لمَّا احتُضِرَ قال للعبَّاس بنِ موسى بنِ عيسى: يا عباس، إنِّي أجد في علمنا المُنْدَرِس: [من المجتث]

إنِّي بطُوسٍ مُقيمُ ... مالي بطوسٍ حَميمُ
أرجو إلهي لِمَا بي ... فإنَّه بي رَحيم
لقد أتى بيَ طوساً ... قضاؤه المَحْتوم
وليس إلَّا رضائي ... والصَّبرُ والتَّسليم[4]

ثم قال: اِحفروا لي قبراً قبل أن أموت، فحفروا له في البستان وحملوه في مِحَفَّة[5]، فجلس على شفيره، ونظر في قعره وقال: ويحك يا ابنَ آدمَ تصير إلى هذا! ثم أمر قوماً فختموا فيه القرآن.

[وفي رواية:] أَلبِسوني المُسوح، فألبسوه، فقال: يا مَن لا يزول مُلْكُه، ارحم مَن

(١) ما بين حاصرتين من (ب). والأبيات لأبي العتاهية، وهي في ديوانه ص١٨٠-١٨١.
(٢) الدَّسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت، وبيوت الأعاجم يكون فيه الشراب والملاهي. القاموس المحيط (دسكر).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) المنتظم ٩/ ٢٣١، والبداية والنهاية ١٤/ ٤٦-٤٧ دون نسبة.
(٥) مركب للنساء كالهودج. القاموس المحيط (حفف).

قد زال ملكه. ثم جعل يبكي ويقول: واسوءتاه من رسول الله ﷺ، وجعل يقبِّل أكفانَه ويبكي ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩] اللهمَّ ارحم غُربتي، وأَعنِّي على صَرعتي، وأنشد يقول: [من الخفيف]

أنا مَيْتٌ وعزَّ مَن لا يموتُ ... قد تيقَّنتُ أنَّني سأموتُ
ليس مُلْكٌ يُزيلُه الموتُ مُلْكاً ... إنَّما المُلك مُلكُ مَن لا يموت[1]

وقال سَهْلُ بن صاعد: كنت عند الرشيدِ وهو يَجود بنفسه ويقاسي ما يقاسي، فنهضت، فقال: اقعُدْ يا سهل، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ما يتَّسع قلبي أن أرى أميرَ المؤمنين يعاني ما يعاني، فقال: إنِّي لأَذكر في هذا الحالِ قولَ الشاعر: [من الطويل]

وإنِّي لمن قومٍ كرامٍ يَزيدهم ... شِماساً وصَبْراً شِدَّةُ الحَدَثانِ[2]

وحضر وفاتَه الفَضْلُ بن الربيع وإسماعيلُ بن صَبِيح، ومِن خدمه مَسرورٌ وحسينٌ ورشيد، وصلَّى عليه ابنُه صالح، ودُفن في بستان حميد[3]، ويقال للمكان: المثقَّب.

[واختلفوا في وفاته، فقال الواقدي:][4] ليلةَ السبت لثلاثٍ خَلَون من جُمادى الآخرةِ سنة ثلاثٍ وتسعين ومئة. [وقال هشام:][5] ليلةَ الأحد غُرَّةَ جُمادى الآخرة. وقيل: غُرَّةَ جمادى الأولى.

[واختلفوا في سِنِّه على أقوال: أحدُها: أنَّه] عاش سبعاً وأربعين سنة [وخمسةَ أشهرٍ وخمسة أيام. والثاني خمساً وأربعين سنة. والثالث: ستةً وأربعين سنة. والرابع: تسعاً وأربعين سنة] والاعتماد في هذه الأقوالِ على تصحيح مولِده. [وقد ذكرناه عند ولايتِه الخلافة.

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٣١، والبيتان لعمر بن عبد العزيز كما في البداية والنهاية ١٢/ ٧٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥، وابن الأثير ٦/ ٢١٣، والبيت لعبد الرحمن بن حسان كما في شرح المرزوقي ٢/ ٦٨٥.

(٣) في (ب): بستان بن حميد بن غانم، والمثبت من (خ). وهو حميد بن أبي غانم كما في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٧.

(٤) في (خ): وكانت وفاته.

(٥) في (خ): وقيل. وما سيأتي بين حاصرتين من (ب).

واختلفوا في مدَّة خلافته على أقوال: أحدها: أنَّه أقام خليفةً ثلاثة وعشرين سنةً وستة أشهر وثمانيةَ عشرَ يوماً. والثاني: ثلاثاً وعشرين سنةً وشهرين وستةَ عشر يوماً. والثالث: ثلاثاً وعشرين سنة وستةَ أشهر][1].

ورثاه أبو الشِّيص فقال: [من مجزوء الرمل]

غَرَبت في الشَّرق شمسٌ ... فلها العينانِ تَدْمَعْ

ما رأينا قطُّ شمساً ... غَرَبت من حيث تَطْلُعْ[2]

[قلت: واسمُ أبي الشِّيص محمَّد بن رَزين[3]، وكُنيته أبو سليمان[4]، وله ديوانٌ مشهور، وذهب بصرُه قبل موته، وكانت وفاتُه في سنة ستٍّ وتسعين ومئة. وقال الجوهري[5]: الشِّيص: التَّمر الذي لم يشتدَّ نواه].

ذِكر ما خلَّف من المال:

مات[6] وفي بيت المالِ تسعُ مئة ألفِ ألف دينار، ومن الدراهم أضعافُها، ومن الجواهر واليواقيتِ مئةُ حِمْل لا تُقَوَّم، ومن الدوابِّ ثلاثون ألفَ رأس[7]، ومن الموالي والجواري عشرون ألفاً.

وقال هشام: خلَّف من العَين والجواهرِ والدوابِّ والأثاثِ ما قيمتُه -سوى الضِّياع- مئةُ ألفِ ألف دينارٍ وخمسةٌ وثلاثون ألفَ ألف دينار.

---

(١) في (خ): وأقام خليفة ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، وقيل: وشهراً ستة عشر يوماً، وقيل: وستة أشهر. وكل هذه الأقوال مقول بها، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥، وتاريخ بغداد ١٦/ ١٨، والمنتظم ٩/ ٢٣٢، والكامل ٦/ ٢١٤.

(٢) الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٨، وطبقات ابن المعتز ص٨٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٦٤، والمنتظم ٩/ ٢٣٢.

(٣) في (ب): زريق، وليست في (خ)، والمثبت من المصادر، ورزين جده، وهو محمد بن عبد الله بن رزين. انظر الشعر والشعراء، وطبقات ابن المعتز، والأغاني ١٦/ ٤٠٠، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٩٤.

(٤) في الأغاني، وتاريخ بغداد: كنيته أبو جعفر.

(٥) في الصحاح: (شيص).

(٦) في (ب): ذكر ما خلف من الأولاد وغيرها، قال علماء السير: لم يخلف أحد من الخلفاء مثل هارون مات. والمثبت من (خ).

(٧) في (خ): فرس.

وحكى [الحافظُ ابن عساكرٍ في تاريخه عن أبي زُرعَة الدمشقيّ][(١)] عن أبيه قال: كنا بالرقَّة وبيوتُ الأموال تُنقل إلى هارون، فعددناها أربعةَ آلاف حِملٍ، وستَّ مئة حمل، منها ألف وستُّ مئة حمل ذهبٍ وثلاثةُ آلاف وَرِق.

ذِكر أزواجه:

[قال علماء السِّيَر:] تزوَّج هارونُ سبعاً من الحرائر: زُبيدة، وهي أمُّ جعفرٍ بنتُ جعفرِ بن المنصور، دخل بها في زمن المهديِّ سنةَ خمسٍ وستِّين [ومئة]، وقيل: سنةَ ستٍّ وستين ومئة[(٢)]، في دار محمَّد بن سليمانَ ببغداد، [وهذه الدارُ انتقلت إلى العبَّاسة[(٣)] ثم إلى المعتصم بالله]، وتزوَّج أَمَةَ العزيز أمَّ ولد موسى الهادي بعد الهادي. وتزوَّج أمَّ محمَّد بنتَ صالحٍ المسكين[(٤)]، ودخل بها بالرقَّة في ذي الحجَّة سنة تسعٍ[(٥)] وثمانين ومئة، وأمُّها أمُّ عبد الله بنتُ عيسى بنِ علي، وكانت قد تزوَّجت إبراهيمَ بن المهدي، فاختلعت منه قبلَ أن يدخلَ بها، فتزوَّجها هارون. وتزوج العبَّاسة بنت سليمانَ بنِ أبي جعفرٍ المنصور، ودخل بها في ذي الحِجَّة سنةَ سبعٍ وثمانين ومئةٍ بالرقة. وتزوَّج عزيزةَ بنت الغطريف، وكانت قبله عند سليمانَ بنِ أبي جعفر، فطلَّقها، فخلف عليها هارون، وهي ابنةُ أخي الخَيزُران[(٦)]. وتزوَّج العثمانيةَ، وهي ابنةُ عبدِ الله بن محمَّد بن عبد الله بن [عَمرو بن][(٧)] عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنه، وتسمَّى الجُرَشية، لأنَّها ولدت بجُرَش اليمن، وجدَّة أبيها فاطمةُ بنت الحسين بنِ علي، وعمُّ أبيها عبدُ الله بن حسنِ بن حسن، وجدُّها محمَّد بن عبد الله الدِّيباج.

فتوفِّي هارونُ عن أربعٍ من الحرائر: زبيدة، وأمُّ محمَّد بنتُ صالح، وعبَّاسة بنت

(١) في (خ): وحكى ابن زرعة الدمشقي.

(٢) في (ب): سنة ستين ومئة.

(٣) في (ب): العباسية، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٩.

(٤) في(خ): المسلمين، والتصويب من تاريخ الطبري، والكلام غير موجود في (ب).

(٥) في تاريخ الطبري: سبع.

(٦) في (خ): والغطريف هو ابن أخي الخيزران، وهو خطأ لأن الغطريف أخو الخيزران والمثبت من تاريخ الطبري، وابن الأثير ٦/ ٢١٦، وابن كثير ١٤/ ٤٩.

(٧) ما بين حاصرتين من المصادر.

سليمان، والعثمانيَّة.

وأمَّا من الإماء، فقد تسرَّى -على ما قيل- بألوف، والمشهوراتُ منهن: هيلانة، وعِنان جارية الناطفي، وضياء. وهنَّ مشهوراتٌ بالأدب والغناء. وماتت ضياء، فخرج هارونُ في جنازتها، فدنا منه إسماعيلُ بن الأزرق المَديني، وكان [ماجناً] مِضحاكاً، فقال لهارون: يا سيِّدي، لمَ تجزعُ هذا الجزع؟ فقال له: ويحك ما ترى ما ابتُليتُ به، ما أحببتُ أحداً إلَّا ومات، فقال له: يا سيِّدي، فأحبِبْني، فقال: إن الحبَّ ليس بشيء يُصنع، ولكن تهيِّجه الأسباب، فقال: قل: إني أحبُّك، فقالها، ومضى إسماعيل فحُمَّ ومات.

ذِكر أولاده:

[قال علماء السير:] كان له من الولد ثمانيةٌ وعشرون: أربعةَ عشرَ ذَكَراً، وأربعَ عشرةَ أنثى، فالذُّكور: محمَّد الأمين، ومحمَّد المعتصم، ومحمَّد، وكُنْيته أبو عيسى، وأمُّه أم ولدٍ يقال لها: عرابة، والرابع محمَّد، وكُنيته أبو يعقوب، وأمُّه شذرة أمُّ ولد، والخامس محمَّد، وكنيته أبو العبَّاس، وأمُّه خُبْث أم ولد، والسابع محمَّد، وكُنيته أبو علي، وأمُّه سِدر[١] أمُّ ولد، فهؤلاء المحمَّدون[٢]، وكان الرشيد لحبِّه هذا الاسمَ يسمِّي أولاده به. وعبدُ الله المأمون، والقاسم المؤتَمَن، وأمُّه قصف أمُّ ولد، مات في سنة ثمانٍ ومئتين[٣]، قال له الرشيد: قد أوصيتُ بك محمَّداً وعبدَ الله، فقال: أمَّا أنت يا أميرَ المؤمنين، فقد تولَّيت النظر لهما، ووكَّلت النظر إليَّ غيرَك. وعليّ، وأمُّه أَمَة العزيز أمُّ ولد الهادي، وصالح، وأمُّه رثم أمُّ ولد، وأحمد، وهو السَّبتي، مات في حياة أبيه، وقد ذكرناه آنفاً، وأبو محمَّد، هو اسمُه وكنيته، ويلقَّب بكريب، وأمه سَحَرُ أمُّ ولد، وأبو أحمد[٤]، وأمُّه كتمان أمُّ ولد.

وأما البنات، فكلُّهن لأمهات أولاد شتى: فسُكينة، أمُّها قصف، وهي شقيقةُ القاسم، وأمُّ حبيب، أمُّها ماردة، وهي شقيقةُ المعتصم، وأروى، أمُّها حَلوب، وأم

(١) في الطبري ٨/ ٣٦٠: ومحمد أبو علي وأمه أم ولد يقال لها: دواج.

(٢) أسقط المختصر اسم السادس، وهو: محمد أبو سليمان وأمه أم ولد يقال لها: رواح.

(٣) في (خ): وثمانين، ولعله سبق قلم، أو هو من الناسخ، وليس في (ب) أسماء أولاده.

(٤) واسمه محمد كما في تاريخ الطبري.

الحسن، أمُّها عرابة، شقيقةُ أبي عيسى، وأمُّ محمَّد، يقال لها: حَمْدونة، وفاطمة، أمُّها غُصَص، وأمُّ أبيها [وأمها] سكر[١]، وأمُّ سلمة، أمُّها رحيق، وخديجة، أمها سَحَر[٢]، وهي شقيقةُ كُريب، وأمُّ القاسم، أمُّها خزق، ورَملة، وتُكنى أمَّ جعفر، أمُّها حلي، وأمُّ علي [أمها] أنيق، و[أمُّ] الغالية، أمُّها سَمندل، ورَيْطة، أمُّها زينة[٣].

أَسند هارونُ الحديثَ عن أبيه المهديِّ والمباركِ بن فَضالة، وروى عن مالك بن أنسٍ الموطَّأ، وعن إبراهيمَ بنِ سعد الزُّهري، وغيرِهما، وروى عنه ولداه الأمينُ والمأمون وغيرهما.

أبو بكر بن عيَّاش بنِ سالمٍ القارئ

[واختلفوا في اسمه على أقوال: أحدُها: شعبة، ذكره سفيانُ الثوري. والثاني: محمَّد، ذكره النَّسائي. والثالث: سالم، ذكره أبو بكر الجَوْزَقي. والرابع: مطرِّف، ذكره الهيثم بن عَدي. والخامس: رؤبة، ذكره دُحَيم. والسادس: عَتيق، ذكره سفيانُ بن عُيينة[٤].

وقال الخطيب عن عمرَ بنِ هارون: سألتُه عن اسمه فقال: لا أدري، الغالبُ على اسمي كنيتي. وقد نصَّ أبو داودَ على أنَّ اسمه كنيتُه. وقال البخاري: أبو بكر بن عيَّاش] مولى واصلِ بن حَيَّان الأَسَدي[٥].

[وذكر ابن سعدٍ[٦] أبا بكر بن عيَّاش] في الطبقة السابعة من أهل الكوفة [في أوَّلها وقال: وهو من الطبقة التي قبلها -يعني السادسة- ولكنَّه بقي حتى عُمِّر وكتب عنه

(١) في (خ): وأم ابنها سكن؟! والمثبت من الطبري ٨/ ٣٦٠.

(٢) في تاريخ الطبري: شجر.

(٣) في (خ): دنيا، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٠ ومابين معكوفين منه.

(٤) في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٤٤: سفيان بن بشير. وانظر هذه الأقوال فيه، وانظر المنتظم ٩/ ٢٣٢، وتهذيب الكمال (٧٨٤٧)، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦١، والسير ٨/ ٤٩٥.

(٥) في التاريخ الكبير ٩/ ١٤، والصغير ٢/ ٢٧٣: مولى بني كاهل من أسد، الكوفي الحناط، وقال بعضهم: اسمه شعبة ولا يصح.

(٦) في طبقاته ٨/ ٥٠٨.

الأحداث، و] كان من العبَّاد [قال: و] نظر إليه وكيعٌ يصلِّي يومَ الجمعةِ فقال: أعرفُ هذا الشيخَ بهذه الصلاةِ منذ أربعين سنة.

[واختلفوا في مولده على أقوال: أحدُها] سنة سبعٍ وتسعين، وقيل: سنةَ أربع وتسعين، وقيل: سنةَ خمسٍ وتسعين، وقيل: سنةَ ستٍّ وتسعين [في أيام سليمانَ بنِ عبد الملك].

[وذكر الخطيب[١] بإسناده عن] يزيدَ بنِ هارون [وذُكر عنده أبو بكر بن عياشٍ فقال]: كان أبو بكرٍ خيِّراً فاضلاً، لم يضع جنبَه على الأرض منذ أربعين سنة.

[وروى الخطيبُ[٢] بإسناده عن أبي هاشمٍ الرفاعيِّ قال: سمعتُ أبا بكر بنَ عياش يقول:] لي غرفةٌ قد عجزت عن الصُّعود إليها، وما يمنعني من النُّزول منها إلَّا أني أختم فيها القرآنَ كلَّ يومٍ وليلةٍ منذ ستِّين سنة.

[وروى الخطيبُ أيضاً وقال:] نزل الماءُ في عينيه، فمكث عشرين[٣] لم يعلمْ به أهله. [قال:] وصام ثمانين رمضاناً. [قال:] ولمَّا كبر، كان يأخذ إفطارَه، فَيغْمِسه في جَرَّة في بيت مُظلمٍ ويقول: يا مَلاكَيَّ، قد طالت صُحبتي لكما، فاشفعا لي إنْ كانت لكما عند اللهِ شفاعة. [قال:] وكان له عُكَّاز ينحني عليه إلى الصَّباح.

[وقال أبو جعفر بنُ أبي شيبةَ عن أبيه قال: استقدم هارونُ أبا بكر بنَ عيَّاش] من الكوفة[٤] إلى بغداد، وكان قد ضعف بصرُه، فدخل عليه ووكيعٌ يقوده، فرحَّب به وأَدناه، وقال له: يا أبا بكر، قد أدركتَ أيامَ بني أميةَ وأيامنا، فأيُّنا كان أَخيَر؟ قال وكيع: فقلتُ في نفسي: اللهمَّ ثبِّت الشيخ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أولئك كانوا أنفعَ للناس، وأنتم أقومُ بالصلاة. ثم خرجا، فبعث إلى ابن عيَّاش بستَّة آلاف درهم، وإلى وكيعٍ بثلاثة آلافِ درهم، ورجعا إلى الكوفة.

---

(١) في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٢ .

(٢) في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٥ .

(٣) أي: عشرين سنة، كما في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٣ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): واستقدمه هارون من الكوفة ...

ودخل ابن عياشٍ على موسى بنِ عيسى وهو عاملُ الكوفة وعنده عبدُ الله بن مصعب الزُّبيري، فأدناه موسى وقرَّبه، وأَتكأَه متَّكأً، [فاتَّكأ] وبسط رجلَيه، فقال الزبيريُّ لموسى: مَن هذا؟! [قال: هذا فقيه الفقهاءِ والمرأَس عند أهل المصر أبو بكر بنُ عياش، قال الزُّبيري: فلا كثيرٌ ولا طيِّب، ولا مستحقٌّ لكلِّ ما فعلتَه به، فقال أبو بكر: يا أيها الأمير، مَن هذا الذي سأل عني بجهلٍ، ثم تتابع في جهله بسوء قولٍ وفعل؟ فنسبه له][1] فقال له ابنُ عياش: أُسكت يا زبيري لا سكتَّ، فبأبيك غُدِرَ ببيعتنا، وبقول الزُّبير خرجت أمُّنا، وبابنه هُدمت كعبتُنا واستُحلَّ حَرَمُنا وقُتلت كُماتنا، وبك أَحرى أن يخرجَ الدجَّال فينا، فضحك موسى حتى فَحَص برجلَيه الأرض.

[وحكى الخطيبُ[2] عن] ابن عياشٍ [قال:][3] أتيتُ زمزمَ ليلةً، فاستقيتُ منها دَلْواً لَبناً وعَسَلاً.

[وروى أبو نُعيم[4] عنه أنَّه قال:] قال لي رجل: [خلِّص] رقبتَك[5] ما استطعتَ في الدنيا من رِقِّ الآخرة؛ فإنَّ أسير الآخرةِ غيرُ مفكوك أبداً. فواللهِ ما نسيتها.

ذكر وفاته:

[حكى الخطيبُ عن ابنه] إبراهيمَ بنِ أبي بكر بن عيَّاش [قال:][6] شهدتُ أبي عند الموت، فبكيت، فقال: يا بُنيّ، ما يُبكيك؟ فو اللهِ ما أتى أبوك فاحشةً قطّ[7]، [وفي رواية:] صمتُ ثمانين رمضاناً، وختمت القرآنَ ثمانين سنة، ولم أُفطر في نهارها.

و[قال ابنُ سعد:][8] توفِّي في جُمادى الأولى [سنةَ ثلاثٍ وتسعين] في الشَّهر الذي مات فيه هارون. وقيل: توفِّي سنة اثنتين وتسعين ومئة بالكوفة وقد جاوز تسعين سنة.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٦/ ٥٤٦ـ٥٤٧.

(٢) في تاريخه ١٦/ ٥٥٢.

(٣) في (خ): وقال ابن عياش.

(٤) في حلية الأولياء ٨/ ٣٠٤.

(٥) في (خ): وقال: قال لي رجل رقبتك.

(٦) في (خ): وقال إبراهيم بن أبي بكر.

(٧) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٥.

(٨) في طبقاته ٨/ ٥٠٨. وما بين حاصرتين من (ب).

و[روى أبو نُعيم[١] الحافظ عن] الهيثم بن خارجةَ [قال:][٢] رأيت ابن عيَّاش في منامي بعد موتِه وبين يديه طَبَقٌ [فيه] رُطَب وسكَّر، فقلت: ألا تدعونا إليه وقد كنتَ سخيّاً على الطعام! فقال: هذا طعامُ أهل الجنةِ لا يأكله أهلُ الدنيا، فقلت: فبمَ نلتَ هذا؟ فقال: تسألني عن هذا وقد مضت عليَّ ستٌّ وثمانون سنةً أختم فيها القرآنَ كلَّ ليلة!

أَسند عن خلقٍ كثير من التابعين، منهم الأعمش، وهشامُ بن عروة، وغيرُهما، وروى عنه ابنُ المبارك، والإمام أحمدُ رحمه الله، وغيرُه.

[وأجمعوا على ثقته ودينه وعبادته وورعه واجتهاده، وإنما تكلَّم بعضُهم في حفظه، فقال ابنُ سعد[٣]: كان ثقةً صدوقاً عارفاً بالحديث والعلم، إلَّا أنه كان كثيرَ الغَلَط. وكذا قال أحمد بنُ حنبل: إنه كثيرَ الخطأ.

وقال بِشرٌ الحافي: كان شيخاً قديماً صاحب قرآنٍ وسنَّة، إلا أنَّ في حديثه اضطراباً.

وقال أبو بكرٍ البيهقيّ: لا خلافَ في عدالته وثقته، وإنَّما لمَّا كبر سنُّه كثر خطؤه، لا أنه كان متَّهماً. وهذا القول أصحّ.

وفي الرُّواة مَن يُكنَى بأبي بكر بن عيَّاش ثلاثة: أحدُهم هذا، والثاني حِمصيّ، والثالث سُلَميّ، حدَّث عن جعفر بن بُرْقان.][٤]

(١) في الحلية ٨/ ٣٠٣.

(٢) في (خ): وقال الهيثم بن خارجة.

(٣) في طبقاته ٨/ ٥٠٨.

(٤) ما بين معكوفين من (ب).